14 me Année No. 670

Lundi—6—5—1946

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ — ٦ مايو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# إصلاح الأزهر بين دعاته وأُباته

تقرأ بعد هذه الكلمة مقالا للأستاذ محمود النمراوى صور فيه المخاوف التى تساور بعض علماء الأزهر من عواقب الاقتراح الذى اقترحته الرسالة فى عدد مضى على مشيخة الأزهر ووزارة المعارف لحل مشكلة الأزهر. صور الأستاذ الفاضل ما توهم من تلك المخاوف تصويرا يروعك منه حفاظ المؤمن وإشفاق الناصح؛ ولكن الألوان والظلال التى اختارها لصورته جعلتها أدخل فى باب الخطابة منها فى باب المنطق! من تلك الظلال «هذه السهام التى تسدَّد إلى الأزهر، وهذه الأسنة التى تُشرَع على القرآن». ومن تلك الألوان هذا «الفرض الذى يقتل الأزهريون بأيديهم لغتهم ودينهم» وهذا التهويل عليهم «بالبلاء الوافد والخطب الراصد والموت الحاصد». والأستاذ أعلم الناس بأن المستعمرين أنفسهم لم يبلغوا من الجحود بآيات الله أن سول الشيطان لهم بعض ذلك، بَلْه الذين يؤمنون بأن العالم لا يسمد إلا بالدين، وأن الدين لا يجدَّد إلا بالأزهر، وأن الأزهر متى استكمل أداة التعليم وساير حاجة المصر نهض بالشرق نهضة أصيلة حرة، تنشأ من قواه وتقوم على مزاياه وتتغلغل فى أصوله. ذلك لأن ثقافته المشتقة من مصدر الوحى وقانون الطبيعة متى اتصلت بتيار الفكر الحديث تفاعلت هى وهو، فيكون من هذا التفاعل ما يريد به الله تجديد دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره.

على أن الأستاذ النمراوى قصر جهده فى مقاله على عرض اقتراح الرسالة فى صورة الهولة ليُفزّع بها المخلصين لدينهم ولغتهم فلم يشر بتعديل فيه ولا ببديل منه، كأنه يرضى للأزهر أن يظل كما هو يملك الكلام، ويجتر الماضى، ويقتات الفتات، ويبطل الاجتهاد، ويعطل العقل، ويصم أذنيه عن أصوات العالم وحركات الفلك!

ولكن الأستاذ من صدور العلماء المعروفين بطول الباع فى علوم الدين، وسعة الاطلاع على فنون اللغة؛ فلا بد أن يعلم أن ميزة الإسلام التى تفرد بها هى مسايرته للتطور ومطاولته للزمن؛ فإذا حصرناه فى زمان محدود، أوقصرناه على نظام معين، سلبناه هذه الميزة، وفصلناه عن دنيا الناس؛ فهو إذن من المصلحين المحافظين الذين يجددون بقدَر، ولا يتقدمون إلا فى أناة وحذر، لأنه يرى الحال داعية إلى الإصلاح، ولكنه يطلب من الأستاذ العقاد ومنى أن نراجع الرأى فيما كتبناه لعلنا نجد «لونا آخر من العلاج يكون فيه للأزهر الشفاء والعافية».

ذلك هم المجددون المحافظون، وأما غيرهم ممن يمارضون الاقتراح فطائفتان: طائفة السلفيين المتزمتين، وهؤلاء قد وقفوا عند حدود النقل، فلا يرون لفهمهم أن يبتكر، ولا لعقل أن يعترض، ولا لمصلح أن يجدد، لأن التجديد بدعة، وكل بدعة على إطلاقها ضلالة. وطائفة الأحرار المستقلين، وهؤلاء يمارضون الاقتراح لا لأنهم يناهضون الإصلاح، وإنما يخشون أن يفلت زمام الأزهر من أيديهم

فتصبح قيادته لوزارة المعارف . ويخيل إلى أن المعارضين الأفاضل على اختلافهم فى أسباب المعارضة لو قرأوا الاقتراح على عادة الأزهريين من التفلية والتحليل لما وجدوا فيه مبعثا للخوف ولا مثاراً للشك . وبحسبنا أن نوضح ما أشكل من جوانب الرأى لنصبح جميعا متفقين على الأسس التى يجب أن يقوم عليها بناء الأزهر القديم الجديد .

* * *

يرى الأستاذ الغمراوى والذين يذهبون مذهبه أن الاقتراح « يجب نصف الأزهر ويدق رأسه » :

١ — لأن إلغاء التعليم الابتدائى من المعاهد الدينية يستتبع إلغاء حفظ القرآن ، إذ كان حفظه كله أو نصفه شرطا فى قبول الطالب ، وإلغاء هذا الشرط ينقص الإعداد الدينى تلك السنوات الست التى كان يقضيها الصبى فى حفظ القرآن .

٢ — ولأن تحويل المعاهد الدينية إلى مدارس ثانوية تساير منهاج وزارة المعارف فى الثقافة العامة ، وتنفرد فى سنى التوجيه بعلومها الخاصة ، يحرم الأزهر ست سنوات أخرى كان يقضيها الطالب فى دراسة اللغة والدين بأقسامه الابتدائية والثانوية .

٣ — ولأن المواد الدنية على نهجها المعروف فى برامج الوزارة ستطغى على المواد الدينية ، فيقل المحصول الدينى واللغوى لدى الطلاب ، وتضعف الملكة الأزهرية الخاصة لفهم الدرس والكتاب .

٤ — ولأن الاعتماد على حملة الشهادة الابتدائية العامة فى تغذية أقسام الأزهر الثانوية يعرضها للهزال بانصراف التلاميذ عنها إلى المدارس الثانوية الأخرى اتباعاً لأهواء العصر المادية .

وسترى بعد إيضاح ما انبهم أن هذه الأسباب منتفية عن معنى الاقتراح فى أصله ، وما أراب من استراب إلا إجمال فكرته وإيجاز شكله .

* * *

١ — لا يستتبع إلغاء التعليم الابتدائى من المعاهد الدينية إلغاء حفظ القرآن واستقطاع ست سنوات من زمن الإعداد الدينى واللغوى ، لأن المعاهد الدينية الابتدائية إنما تستقبل داخليها وهم فى سن الثانية عشرة ، وهى السن التى ينتهى فيها الصبى من الدراسة الابتدائية العامة دون أن يأخذ من زمن الدراسة الأزهرية وقتاً كثر أو قل ، وإنما تكون مداركه وملكاته قد تهيأت لحفظ القرآن فى مدى السنوات الثانوية الخمس أو الست عن رغبة وفهم . ومن الذى يمنع مشيخة الأزهر أن تجعل حفظ القرآن فرضاً على كل طالب فى كل سنة من سنى الدراسة فى المدارس الثانوية الأزهرية وأمرها فى يديها ، وإعدادها منها وإليها ؟

٢ — إن المعاهد الدينية التى نقترح جعلها مدارس ثانوية بالمعنى الرسمى المعروف ستظل بالطبع تابعة للأزهر خاضعة لإدارته ، فله إذا شاء أن يزيدها سنة أو أكثر ، وأن يبدأ الدراسة الدينية واللغوية من سنتها الأولى ، على شرط أن يحافظ على مواد الثقافة العامة المقررة فى برنامج الوزارة من لغات وآداب وعلوم ورياضة ، وأن يتقدم طلابها المنتهون إلى امتحان التوجيهية العام ، ليكون لهم ما لسائر إخوانهم من ميزة الشهادة الرسمية ، ولتفتح لهم أبواب الوظائف التى أجملناها فى الاقتراح لحاملى الشهادة الثانوية . وإذن تكون مدة الدراسة الدينية واللغوية اثنتى عشرة سنة لا ستاً كما ظن الأستاذ .

٣ — لا خوف من طغيان المواد المدنية على المواد الدينية فى الدرس والتحصيل ما دام الوقت متسعاً ، والأستاذ كفؤاً ، والكتاب مهذباً ، والمنهاج مستقيما ، وتوزيع المواد دقيقاً ، والإدارة حازمة ، والمراقبة يقظى ؛ فإن الوقت إذا أحسن استخدامه اتسع ضيقه ، والكتاب إذا حُذف فضوله قصر طوله .

٤ — من المحال أن ينصرف التلاميذ عن المدارس الثانوية الأزهرية ؛ لأن الاقتراح يقصر وظائف تدريس الدين واللغة والأدب فى جميع مدارس الدولة والأمة على الأزهر ، فإذا أضيف إلى ذلك وظائف التحرير والترجمة ومهنتا الصحافة والتمثيل ، كان الراغب فى ممارسة أمر من هذه الأمور محتوماً عليه أن يدخل الأزهر لأنه لا يستطيع بلوغه إلا عن طريقه .

وجملة الأمر أن الاقتراح يرمى إلى تجديد الأزهر وتوحيد التعليم على الوجه الذى يحفظ للأزهر طابعه وللأمة وحدتها . فإذا تجاذب الباحثون أطراف الرأى فى حدود هذين الغرضين ، استبان الطريق ، واتحدت الوجهة ، وتلاقوا جميعاً عند الغاية المقصودة لا محالة !

أحمد حسن الزيات

# فى مقـــالين :

## حل حاسم لمشكلة الأزهر ، ومستقبل الجامعة الأزهرية

للأستاذ محمود أحمد الغمراوى

شيخ معهد دسوق والزقازيق سابقا

... أما بعد ، فقد قرأت ما كتبتم فى العدد رقم ٦٦٦ من مجلة « الرسالة » إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف من حل حاسم لمشكلة الأزهر ، وما كتبه حضرة الأستاذ عباس محمود العقاد فى العدد رقم ٦٦٧ عن مستقبل الجامعة الأزهرية ، فوجدتكما ترميان إلى غرض واحد يستوقف النظر ويدعو إلى التأمل .

وقبل التحدث أقدم بين يدى الحديث إلى حضرتى الأستاذين شكرا خالصا لعنايتهما بأمر الأزهر وبحث أدوائه ودوائه فى وقت شغل فيه المنسوبون إلى الأزهر بالتافه من شئونهم ، غير مكترثين لما يكتنف الأزهر من خطر ، ولا ناظرين إلى ما يهدد وجودهم ووجوده من بلاء وافد ، وخطب راصد ، وموت حاصد .

وإن فى عناية الأستاذين الكبيرين بالبحث فى مستقبل الأزهر وحل مشكلته ، قياما بحق تتقاضاه من كل ذى شعور كريم مكانة الأزهر التاريخية ، وقيامه بحفظ الشريعة واللغة العربية زهاء ألف عام ، فاستحقت مصر بذلك تقدير الأمم الإسلامية وأن تكون زعيمة الأمة العربية . وفى هذه العناية من جانب الأستاذ الزيات خاصة وفاء واعتراف بما للأزهر من صلة وثيقة بفنه البارع وأدبه الرفيع ، وبما يدين به قلمه العربى الفصيح من بلاغة وحسن إلهام امتاز بهما على الأقلام ؛ فى قنة الأزهر نبتت شجرته ، ومن ماء مزنه ارتوت نبعته ، ومن عودها كانت قصبته .

وإذا كان رجل الفن من أغير الناس على فنه ، وأحرصهم على خلود مدرسته ، فأكبر ظنى أن الأستاذ الزيات حين تقدم إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف بما تقدم به من علاج رأى أن فيه حلا حاسما لمشكلة الأزهر ، كان ثائرا من أجل الأزهر لا عليه ، وغاضبا مما يجرى فيه من الأحداث وحواليه ، وإلا فما أظن طبيبا يتقدم لطب مريضه بدواء قاتل برديه ، ولا أحسب ابنا بارا يريش سهمه لثقفه ويرميه فيصميه . ومن أجل ذلك يطمع الأزهر أن يراجع الأستاذان الرأى فيما كتباه عن مستقبله وحل مشكله ، فقد يجدان لونا آخر من العلاج يكون فيه للأزهر الشفاء والعافية فيوافيان به القراء إن شاء الله .

* * *

اتفقت كلمة الأستاذين على أن غاية الأزهر أن يفقه الناس فى الدين وفيما تفرع من أصوله من شتى العلوم ؛ وأن سبيله إلى هذه الغاية أن يعلم اللغة وما اتصل بآدابها من مختلف الفنون . فالدين واللغة هما علة وجوده ، وجوهر علمه ، وثمرة عمله ؛ وأنه لهذا ولكونه أقدم جامعة فى العالم بأسره تكون الأمة ذات الشأن الأول فيه حقيقة بأن تحافظ عليه وتستديم بقاءه وازدهاره .

واستشرف القارىء ، وأذن لما يرد بعد هذا القول لعله يسمع رأيا نافعا ، أو يرى علاجا ناجعا ، يطب الأزهر فيشفى داءه ، ويرجع إليه العافية ويكفل بقاءه ، حتى يرى الأزهر قد تشامخ بناؤه ، وعمر فناؤه ، وصفت سماؤه ، وطاب ورده وماؤه ، وحىّ أمله وقوى رجاؤه ، وازدحمت بالوافدين عليه لطلب العلم أرجاؤه ، وتجاوبت بالعلم فى جوانبه أصداؤه .

ولكننا لم نجد بعد هذا البيان الذى مهداه ، والقول الذى قدماه ، سوى سهام تصوب ، وسنان تحرّب ، وقد شمر الراميان عن ساعديهما ، وكشفا عن ساقيهما ينتضلان ، والأزهر بينهما كدريئة تتنائل إليها السهام ، تارة من عن اليمين ومرة من الأمام ، مسددين إليه الرماية ، يرميان جاهدين إلى غاية !

أما الغاية فهى :

١ — أن يلغى التعليم الابتدائى من جميع المعاهد الدينية ليلقى بمقاليده إلى وزارة المعارف تُلزمه وتقسمه وتعممه على الوجه الذى تراه ، وذلك بدء الوحدة الثقافية بين أبناء الأمة .

٢ — أن تجعل المعاهد الدينية فى القاهرة وفى الأقاليم مدارس ثانوية يدخلها حاملو الشهادة الابتدائية العامة وتعلم فيها اللغات والرياضيات والآداب والعلوم على منهج وزارة المعارف . وفى أول

السنة الثالثة منها يتجه طلابها اتجاهين على حسب مرادهم واستعدادهم : إما اتجاها إلى الدين وعلومه ، وإما اتجاها إلى اللغة وفنونها ...

٣ — أن يقتصر فى التعليم الجامعى فى الأزهر على كليتين اثنتين: كلية أصول الدين وتندمج فيها كلية الشريعة ، وكلية اللغة وتندمج فيها كلية اللغة العربية ودار العلوم وقسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعتى فؤاد وفاروق ، ويشترك الكليتان فى الدراسة العميقة للغتين العربية والافرنجية ، كما تنفرد كلية الدين بتاريخ الأديان السماوية والأرضية ...

ويقول الأستاذ العقاد : إنه لا يرى من جانبه ما يخالف فيه الأستاذ الزيات قبل الدخول فى التفصيلات التى تعرض عند البحث فى تقسيم الكليات ، وفى مدة التعليم التى يحتاج إليها الطالب الجامعى فى كل منها .

والمهم عنده أن ينتهى التقسيم إلى نظام واحد فى التعليم فلا يبقى للثنائية أثر بين كليات الجامعة الأزهرية وغيرها من الجامعات، ولا يحسب الفرق بينها جميعا إلا كما يحسب الفرق الآن بين كلية الطب وكلية الزراعة أو كلية الآداب .. ؟

فالهدف الذى يرميان نحوه ، وبيت القصيد عندهما هو تحقيق الوحدة الثقافية بين أبناء الأمة ، أو كما يقول الأستاذ العقاد : ألا يبقى للثنائية أثر بين كليات الجامعة الأزهرية وغيرها من الجامعات ؛ وتوحيد الثقافة أو إبطال الثنائية فى التعليم لا يتم فى رأيهما إلا إذا ألغى نظام التعليم فى المعاهد الابتدائية التابعة للازهر وحولت المعاهد الثانوية إلى مدارس ثانوية كنظام وزارة المعارف على النحو الذى رسمه قلم الأستاذ . فاذا رضى الأزهر أن يترك ست سنوات وهى نصف المدة المقررة لتأهيل الطالب لنيل الشهادة العالية ( إذا ساعده الحظ ولم يرسب فى أثناء الطلب مرتين أو ثلاثا ) وإذا تجاوز أيضا عن ست سنوات أخرى يقضيها الراغب فى دخول المعاهد الدينية فى حفظ القرآن الكريم وتبع ذلك أن يتجاوز عن اشتراط حفظ القرآن فى قبول الطالب بالمعاهد الأزهرية ، لأن القرآن لم تبق له أهمية ، ولم يعد ذا صلة بالعقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية ؛ إذا تجاوز الأزهر عن هذا طوعا أو كرها ، ورضى أن يجبَّ تصفه وتدق رأسه ، كان الأزهر جديرا بالحياة حريا بالبقاء : فيحتفظ بقديمه ؟! ويشارك فى جديد الناس ، ويساهم فى شركة الدنية . وحينئذ يصير الطالب الأزهرى جديرا بأن يكون عالما حقا ، وأن تفتح له أبواب السماء فيجد مكانه من وظائف الحكومة كما يجد الطبيب والمهندس والضابط أمكنتهم فى كل ديوان يحتاج إليهم !

يقولون لا تبعد وهم يدفنونه     ولا بُعْدَ إلا ما توارى الصفائح

أما إذا ظل الأزهر على تعصبه كما هى عادته ، وأبى له جموده أن يتنازل عن وجوده ، فإنه يكون غير صالح للبقاء وليس أهلا للحياة ؛ لأنه غير قادر على مسايرة الزمن فيجب أن يسلب اختصاصه ويعطى تراثه لمن هو أقدر منه على مسايرة الزمن والمشى مع القافلة ، فيكون تراث الأزهر نهباً مقسما بين كلية الحقوق ودار العلوم وكلية الآداب : تستقل الحقوق بالشريعة ، وتحمل دار العلوم لواء اللغة ، وتضطلع كلية الآداب بدراسة أصول الدين : تدرسها على المنهج الجامعى فى التقصى والاستيعاب والموازنة .

وإذا حرك أزهرى ساكنا أو نبس ببنت شفة قيل له : مه ! لست هناك : لست فى العير ولا فى النفير ، إنما أنت شخص متبطل ، تنتمى إلى طائفة معاشية ، يربط بعضها ببعض تحصيل المعاش؛ أو حاجتها هى إلى المعاش؛ فلا هى لنفسها ولا لله ولا للوطن.

لقد جربناك وجربنا أزهرك فلم نجد عندكم غناء ، ودعونا الأزهر للسير فى ركب الحياة فلم يستجب للداعين نداء ، وقال بهير قَطِع . وسألته الأمة أن يمدها بشيوخ الدين والعربية فعجز ولم يستطع ، حتى اضطر أولو الأمر بسبب عجزه ، إلى طرحه ونبذه ؛ وأنشئوا دار العلوم لتخرج لهم أئمة فى علم اللغات ، وابتنوا مدرسة القضاء لتصنع لهم أئمة قادرين على تشريع ما يوافق الهوى والرغبات . فها نحن أولاء ندعوكم أيها الحمق الجامدون والغلاة المتمردون لتختاروا إحدى خصلتين لكم فى كلتيهما هدى وقصد وفلاح ورشد . وليستا كخصلتى الضبع إذ خيرت الثعلب بين أن تقتله أو تمزقه ؛ ولكنها خيرة فيها صلة للرحم ورعاية لذمامه وهى أقرب للعدل والتقوى ؟ أعرض عليكم لآخر مرة أن تختاروا واحدة من اثنتين : إما أن تقتلوا أنفسكم وتقبروها لنتمكم

وتتخلوا عن دينكم وتتركوا من زمن دراستكم للغة والدين ست سنوات تقضونها فى دراسة اللغة والدين بالأقسام الابتدائية والثانوية بالمعاهد الدينية وذلك شىء يسير لا يتجاوز نصف الزمن المقدر للدراسة فى الأزهر وفى المعاهد لنيل شهادة العالمية .

ثم لا تتشبثوا باشتراط حفظ القرآن فيمن تحدثه نفسه بالدراسة فيما يسمى كليات الأزهر فقد علمتم مما قدمناه لكم أن حفظ القرآن لم تبق له أهمية ، ولم يعد ذا صلة بالعقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية ، فسوف نكتفى ونستغنى عن كل ذلك بما دوّن فى الكتب الأخلاقية والقوانين الدنية .

فان لم تختاروا هذه ولم تطب نفوسكم بأن تتركوا جودكم وتقبروا بأيديكم لغتكم ودينكم ، فإنكم تكونون قد اخترتم الخصلة الثانية : وهى أن نقتلكم بأيدينا ، فنقطع الصلة بينكم وبين الأمة ، ونعلن البراءة منكم فى العالمين ، كما تبرأ الهنود من النبوذين ، وحينئذ ترون العذاب ، وتتقطع بكم الأسباب ، وتغلق فى وجوهكم السبل والأبواب .

هذه هى النذر التى يراها الأستاذ الزيات ظاهرة فى الأفق ، رآها بما جعل الله له من نور يمشى به ، ويسعى بين يديه وبيمينه ، فأنذر الأزهريين ( وهم قومه وعشيرته ) أنذرهم ما يرصدهم فى الأفق من المصائب ، وحذرهم ما يرتقبهم وينتظرهم من وخيم العواقب ؛ ونصح فأبلغ وأخلص فى النصح ، فجزاه الله من أخ وفى ، ومؤمن صادق أبى . ولقد أعذر إذ أنذر ، فعسى ألا نمارى نحن الأزهريين بالنذر .

أما الخطتان اللتان عرضها للاختيار ، فإنها كما بينت ليس فيهما حظ لمختار . وعسى أن يكون الله مدخراً خيراً منها للأزهر عنده .

يحيى رفات العظام بالية والحق يا مال غير ما تصف

ولعله يرى بما أوتى من نور سبيلا لا حبا يصل منه الأزهر إلى النجاة والحياة .

وقد وددت لو أن فى الوقت سعة لأبين أن الأزهر قد أدى للأمة ما طلبته منه : فهو الذى أعطى الأمة دار العلوم فى خير عهودها إثماراً وإنتاجاً حيث كانت تخرج أمثال حفنى ناصف وعبد العزيز جاويش . وهو الذى قامت على كواهل رجاله وعقول علمائه وعلومهم مدرسة القضاء . وهو الذى خرج للأمة بل للعالم الإسلامى عظماء العلماء والمفكرين أمثال المرحومين الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وأبى خطوة والطويل والبحيرى والشربينى وغيرهم ممن لا يتسع الوقت الضيق لذكر أسمائهم . وإنه لم يضق ذرعا بما أدخل فيه من علوم نافعة فقد أوسع لها صدره حتى صار لا يستطيع أن يتنفس بالقدار الذى يحفظ كيانه وحياته التى تمكنه من أداء مهمته التى بينتموها فى صدر مقالكم . ولعل الأزهر قد قصر فى حق نفسه من هذه الناحية .

وددت لو أن فى الوقت متسعاً للافاضة فى هذا ؛ غير أن حرصى على أن تدرك هذه الكلمة فى عدد الرسالة القادم هو الذى يحملنى على أن أختم الحديث باهدائك أكرم التحيات والسلام عليك ورحمة الله .

**محمود أحمد الغمراوى**

شيخ معهد دسوق والزقازيق سابقاً

# يوم الجـــــلاء ...!

## للأستاذ على الطنطاوى

« . . ماظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار »

— ١ —

ماذا فى دمشق ؟ فى كل ميدان فيها عرس ، وفى كل حى فرح ، وفى كل شارع مهرجان ! ما هذه الزحمة ؟ ماهذه الوفود ؟ الطرقات كلها مترعات بالناس ما فيها موطئ قدم ، وحيثما سرت تر قباباً من الزهر وستائر من الحرير ، وعلى دمشق سماء من صغار الأعلام ومصابيح الكهرباء ، قد انتظمتها حبال فدارت بها ، ثم انعقدت على أشكال العقود والتيجان ، فكانت منظراً عجباً ، إذا رأيتها فى الليل حسبت السماء قد ركبت فيها ، فسطعت كواكبها ولألأت نجومها ، وإذا أبصرتها فى النهار ظننت الربيع قد عاد مرة ثانية ، فكان كل شارع روضة فتانة ، ضرب فيها موعد حب ، وكل بناء عريشة ورد وفل وياسمين ... وأغلى الطنافس مبسوطات على الجدران ، وأحلى الصور معلقات على الطنافس ، والسيوف المذهبة والتحف الغالية ... مايضن الناس بقيم ولا يبخلون بثمين .

والرايات : السورية والمصرية والعربية السعودية والعراقية واليمانية والأردنية ... أستغفر الله العظيم ، بل هى راية واحدة اتحدت حقيقتها وتعددت ألوانها ، لأمة واحدة اختلفت أزياؤها وتناءت أوطانها ، فألفت بينها قبلتها وأدناها قرآنها . أمة آخى الله بين أفرادها من فوق سبع سماوات ، فأراد الظالمون تفريقها بخشبات ينصبونها على الطرقات ، يسمونها حـــدوداً ، خسأ الظالمون ... وخابوا ... إن بناء تقيمه الله لاتهدمه خشبة نخرة ولا خرقة مرقعة !

لقد أوقد الليلة فى دمشق خمسمائة ألف مصباح ، ونشر فيها ألف ألف علم ، عدت عداً ، ورفع فيها مائة قبة من النور يعدو تحت إحداها الفارس من سعتها ، ووضع فى أرجائها مائة مذيع مصوّت ، يخرج منه النداء والهتاف والخطاب فيسمع فى أقصى الغوطة ويردد صداه الجلمود من قاسيون ، ومشت فيها خمسة آلاف (عراضة)(١) وموكب ، وأقيمت ألف (دبكة(٢)) ، ففى كل مكان ازدحام ، وعلى كل ثغر ابتسام ، وفى كل قلب فرحة ، وكل الناس مبتهج مسرور ، الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ، والهتاف متصل ما ينقطع ، والنشيد دائب ما يسكت ، والخطب والمحاضرات والزغاريد(٣) والأغانى ، من الصوتات(٤) والرداد(٥) والحاكيات(٦) والأفواه ، والطبول تقرع ، والمدافع ترعد ، والطيارات تركض فى السماء ، والسيارات تزحف على الأرض ، والصواريخ تنفجر فى الجو فتتساقط منها الأنوار أمطاراً ، والجيش يحمل مشاعله ينشد ويزمر ، يشارك الأمة فى أفراحها ، وما عهدنا (هذا) الجيش يشاركنا فى فرح ولا ترح! ما عهدناه إلا عونا للغاصب علينا ، ضاحكا فى مآتمنا عابساً فى أفراحنا ... يدور بالمشاعل فى شوارع دمشق ، يذكر بالجيش الإسلامى لما حمل القرآن مشعل النور الهادى فأضاء به الأرض وهدى أهلها . وعلى كل جبل من جبال دمشق نيران ضخمة أضرموها ، كما أضرمت من قبل نيران (الفتح) على جبال مكة ، إيذانا بتطهير الكعبة وتهديم الأصنام ، و (إجلاء) الشرك عن البيت الحرام .

وفى كل دقيقة يفد على دمشق وفد جديد : مواكب وعراضات من كل بلد وقرية وناحية ، قد لبسوا أحسن ثيابهم وجاءوا يعرضون أمتع فنونهم ، وأعجب ألعابهم ، ويهتفون أجل هتافاتهم ، فكأنه عيد الأولمب عند اليونان : فن صراع إلى دبكة إلى قفز إلى لعب بالسيف والترس ، إلى عدو بالخيل ، إلى تمثيل وغناء ...

وهيا كل ضخمة ، أعدها الشباب ، فوضعت على ظهور السيارات ، على أشكال القلاع والمدافع والمدرعات ، وشىء يمثل أيام العذاب ، ومراحل الجهاد من ميسلون إلى الجلاء — فالعين رائية كل لون وشكل ، والأذن سامعة كل نغمة ولحن ، وفى

(١) موكب شعبى يتقدمه قوال يقول فيردد الناس مقاله .
(٢) رقص قروى له أغان خاصة وأبرع الناس فيه أهل لبنان .
(٣) هتاف النساء .
(٤) أردنا بها مكبرات الصوت .
(٥) جمع راد وهو الراديو لأنه يرد الصوت الذى خرج من المذياع.
(٦) أى الفونوغرافات .

كل فؤاد هزة طرب ، وعلى كل لسان صيغة حمد وكلمة ابتهاج ، والليل يتصرم وما تخلو الساحات ، ولا يفتر النشاط، ولا يسكت الضجيج ، وما يفكر أحد بمنام ، فكأنما قد جنّ البلد .

* * *

فماذا في دمشق ؟ أي يوم هذا من أيامها ، عظمت أيام دمشق وكرمت وجلت ؟

ألا إنه يوم الفرحة الكبرى ، إنه اليوم الذي كان يتمنى كل شامي أن يراه ، ولا يبالي إذا رآه أن يموت من بعده . إنها الغاية التي سرنا إليها خمساً وعشرين سنة وتسعة أشهر ، نطأ الحراب ، ونخوض اللهب ، ونسبح في الدم ، ونتخطى الجثث ، وننشق البارود .

إنها الأمنية الكبرى التي كان يتمناها كل سوري ، وكل عربي وكل مسلم .

إنه يوم الجلاء .

لقد جُنت دمشق وحُقّ لها أن تجن ، فقد عاد الحبيب بعد طول الفراق ، وآب المسافر بعد ما امتد الغياب ، وعانقت الأم وحيدها بعد ما ظنت أن لا لقاء ، وخرج الفرنسيون وزال الانتداب !

* * *

إنه يوم الجلاء ...

فيا أيها الذين عادوا من ميسلون بقلوب كسيرة ، ونظروا إلى موكب الناصب بعيون دامعة ، وحملوا الظلم بأعصاب صابرة ، وشاهدوا جبروت المحتل وطغيانه ووحشيته ، والعرش الذي أقاموه على دماء قلوبهم وعزائم سواعدهم هُوى ، والبلاد التي برأها الله واحدة قسمت فجعلت دولا ... والوطني المخلص نفي أو سجن ، أو حكم عليه بالموت شنقاً ، والخائن الملعون قد أعطى الرتب والذهب ...

ويا أيها الذين خرجوا على الظلم ، وعرضوا أرواحهم للموت ، على شعفات الصخر ، من جبال اللاذقية إلى جبل الدروز ، وعلى السهول الفيح ، من أعالي حلب إلى أداني حمص ، وعلى ثرى الجنات من أرض الغوطة ، لم يخشوا فرنسا إذ كانت تخشاها الدول ، ويرهب بأسها الأقوياء ...

ويا أيها الذين نشأوا[1] في عهد الانتداب ، فرأوا في كل مدرسة مستشاراً فرنسياً هو الآمر الناهي والمدير[1] تمثال ، وفي كل وزارة مستشاراً هو الفاعل التارك ... والوزير صنم ، وفي كل قضاء مستشاراً هو الحاكم وهو المنفذ وهو الأمير ، وفي وسط المدن مراكز للعدو ، وعلى الجبال قلاعاً له قد وجهت مدافعها إلى البلد لتضرب أبناءه إذا طالبوا بحق أو أبوا ظلماً ، لا إلى الفضاء، لتردّ عنه الأعداء ، وفي كل طريق جنداً من الفرنسيين والمغاربة المسلمين ... والسنغاليين والشركس والأرمن و ... الدمشقيين الخائنين ، يلوّحون بأسلحتهم في وجوه أهل البلد ، ويرمونهم بالشرر ( في السلم ) من نظراتهم ، وبالنار ( في الثورات ) من بنادقهم ...

ويا أيها الشهداء الذين قضوا بنيران العدو الباغي ، في سبيل الله ثم في سبيل الحرية ، وهل تسمع أرواحكم دعائي ياأيها الشهداء ؟

ويا معشر العرب في قاص من الأرض ودان .

إنا نحمد الله إليكم ، تبارك اسمه ، وجل جلاله ، فقد أكمل نعمته ، وأتم منّته ، وأخرج الفرنسيين من الشام كله ، فلم يُبق منهم أحداً .

اذهبوا الآن إلى ( المزة ) وادخلوا القلعة ، وأموا الثكنة الحيدية ، فإنه لايمنعكم حارس سنغالي وجهه يقطع الرزق، ولا يردكم ضابط فرنسي ، ولا تحجزكم سلك ذات أشواك ... وسيروا في طريق الصالحية فادخلوا قصر ( المفوض السامي ) الذي كان يتنزل منه وحي الضلال على قلوب الخونة المارقين من طلاب الحكم وعشاق الكراسي ، فيكونون لربه عبيداً أذلة ، وعلى أبناء بلادهم فراعنة مستكبرين ، ولجوا قصر ( المندوب ) الذي كان ينصب منه ( أمس ) الموت الزؤام على من يدنو من حماه ، واسرحوا وامرحوا حيث شئتم ، فالبلاد بلادكم ، لا فرنسي ، ولا إنكليزي ، ولا طلياني ولا روسي ، ولا أشقر ولا أسود ...

ألا لا مفوض ( سامي ... ) اليوم ، ولا مندوب !

لقد ذهبوا جميعاً ، وما تركوا من جنات زرعوها ولاعيون ، ما تركوا إلا بيوتاً كانت عامرة فجعلها حكمهم خرائب ، وجناناً صيروها مقابر ، وضمائر نفر منا كانت نقية فدنسوها ... ذهبوا وما أورثونا خيراً قط .

* * *

هـذا قصر المفوض السامي الذي كان بالأمس يزعم أنه إله

---

(١) كذلك يكتبها الناس والقاعدة فيها ( نشؤوا ) فمتى نتخلص من هذه الفوضى ؟

(١) واسمه في مصر الناظر .

الأرض ، تعالى الله ما من إله غيره ، وكان كلما نزت برأسه نزوة من حماقة جعلها قانونا ، وحمل الناس عليها بسنان البندقية وفم المدفع ، قوانين ينقض بعضها بعضاً ، ويلغى أواخرها الأوالى ، ولا يحصيها عالم ولا جاهل : ( إن الفوض ، بناء ، وبناء ... يقرر تعديل الجملة الثانية من الفقرة الأخيرة من المادة ١٨ من القرار ١١٠٥ ل.ر ) فلا يعرف جنى ولا إنسى، ماهذه الفقرة ، ولاماهذه المادة ، ولا ما هذا القرار ... لقد ذهب وأورثنا عشرة آلاف قرار مثل هذا ! ذلك هو التشريع الفرنسى الذى يحسبه القردة المقلدون ، أفضل من شرع ربنا ، لأن عليه ( الطابع الأوربى ) !

هذا هو قصر الفوض الذى سرقه من فيصل ، فيافيصل ، يا أيها الملك ! ارفع رأسك مرة واحدة وانظر ... إنها لم تطل المدة .. إن اللص قد طرد ، وإن الباغى قد دارت عليه الدوائر ، فما دافعت عنه جنوده ، ولا حمته حصونه ، ولا أغنت عنه مدافعه وطياراته . لقد جرب فينا أسباب الموت كلها فما صنعت شيئاً . لم تحرقنا ناره ، ولم يقتلنا حديده ، لأننا أمة لا (يمكن أن) تموت ! وأحرقته هو نار حماستنا ، وقتله حديد عزائمنا ، فولى عنا باللعنة ، كما دخل علينا باللعنة !

* * *

اليوم يوم الجلاء .

اليوم يبكى رجال ( منا ) كانوا يأكلون الطيبات ، وينامون على ريش النعام ، من بيع ضمائرهم للأجنبى ، على حين كان الناس ينامون على التراب ، ويأكلون الخبز اليابس .

اليوم يبكى رجال حملتهم الخيانة فوضعتهم على مقاعد العز فى أبهاء الحكومة فصاروا من كبار الموظفين .

اليوم يبكى رجال كانت لهم فى سجلات ( الاستخبارات ) أسماء ، فصاروا اليوم أيتاما كالأجراء فى المزبلة بعدما مات الكلب .

ولكن الشعب كله يضحك اليوم ، وتضحك معه الدنيا .

اليوم يضحك البلد بالزينات والأعلام ، ويضحك الليل بالأضواء والمشاعل ، وتضحك النار بالتكبير ، وتضحك النواقيس بالرنين ، وتضحك الأرض والسماء !

اليوم يرى الشاميون الفرحة الكبرى التى تنقش ذكراها على قلوب الأطفال والشباب فلا تمحى أبداً ، وتكون لقلوب الكهول والشيوخ شبابا جديداً ، كما كانت الفجيعة فى ميسلون شيخوخة مبكرة لهذه القلوب التى شابت من الهول قبل الأوان !

* * *

لقد نامت دمشق البارحة ملء جفونها من بعد ما صرمت تسعة آلاف وثلاثمائة وسبعاً وتسعين ليلة[1] وهى تنام مفزعة الفؤاد ، مقسمة اللب ، تخشى أن تصيبها من الفرنسيين بادرة طيش ، أو نوبة لؤم ، تذهب بدار عامرة : أو تضيع حقاً ظاهراً ، أو تريق دماً بريئاً ؛ وأغفت تحلم بالمجد والحرية ، وقد مرت عليها تلك الآلاف من الليالى ، لا تحلم فيها إلا بتهاويل الظلم والموت والخراب ، وتأنس بطيوف الأحبة من جند العرب فى مصر والعراق والحجاز ونجد ، وقد زهت بهم دمشق أن قدموها ضيوفا كراماً بل إخواناً وأصحاب البلد ، وقد كانت تروعها كلما نامت أشباح الأبالسة تتراءى فى صور جند من الشقر أو السمر أو السود الفرنسيين والمغاربة[2] والسنغاليين ، وأمنت الأم على ولدها أن تتخطفه الشرا كة زبانية ( كوله ) فتلقيه فى سجن عميق ، أو منفى سحيق ، أو تذيقه النكال والتعذيب ، لوشاية كاذبة ، أوتهمة باطلة ، أوطمعاً بفدية أومال ، واطمأن السكان على منازلهم أن تدمرها فى هدأة الليل قنابل الطغاة أو تحرقها نارهم أوتسرقها أيديهم ! لقد نامت دمشق البارحة وهى تودع عهد الانتداب ، عهد الجهاد والعذاب ، لتستقبل عهد الحرية ، عهد البناء . ونهضت دمشق تسبق الفجر الطالع تؤم الشوارع التى يعرض فيها جيش العروبة ، فما طلعت الشمس وفى النوافذ والشرفات وعلى ظهور البنى والعمارات ، فى شارع فاروق وفؤاد والجامعة السورية والسنجقدار ، وميدان المرجة وضفاف النهر ، وفوق قباب التكية السليمانية ، وعلى أشجار المسالك ، وفى كل مكان يشرف على الطريق ، ما طلعت الشمس وفى ذلك كله شبر واحد خال من رجل إنسان قد قام لينظر ويتطلع ، وأجر المقعد الواحد بعشر ليرات ، ومكان الوقوف بليرتين . فكان هذا المنظر أحد الأعاجيب .

ونصب الفسطاط ، واجتمعت تحته الأقطار العربية كلها ، جاءت وفود ملوكها وأمرائها من القاهرة والرياض وبغداد وبيروت وعمان ، وصنعاء والقدس ، يهنئونها فى عيدها ،

---

(١) من يوم الاحتلال ٢٥ تموز يوليوسنة ١٩٢٠ إلى يوم الجلاء ١٧ نيسان ( إبريل ) ١٤٩١ .

(٢) المغاربة من أكرم إخواننا علينا ، ولكن منهم ومنا خوارج علينا ، ضربوا بسيف عدونا وإنا لنلعن خوارجهم كما نلعن خوارجنا

بعد الجلاء عن سورية :

# سحر الجـــــــلاء !

## للأستاذ سيد قطب

[ مهداة إلى الأستاذ توفيق الحكيم ]

في العدد الماضي من جريدة « أخبار اليوم » وصف صحفي بعنوان «رأيت يوم الجلاء في سوريا» بقلم الأستاذ توفيق الحكيم صدرته الجريدة بهذه المقدمة :

« رأت أخبار اليوم بمناسبة الجلاء عن سوريا أن توفد الأستاذ توفيق الحكيم لشهود عيد الجلاء ، وكذلك أوفدت مصورها الخاص ليسجل حفلات الجلاء ... وفيما يلي ننشر أولى رسائل الأستاذ توفيق الحكيم »

وقد بدأ الأستاذ توفيق وصفه الصحفي بقول :

« أولئك الذين عرفوا أو سمعوا بذلك الكسلان الجالس طول يومه على إفريز مقهى لا يصنع شيئا ولا يعنى بأحد ولا يهتم لأمر ، قد دهشوا ولم يصدقوا أعينهم عند ما أبصروه ينزل من طائرة حربية محلقة في جو دمشق ، وخلفها سرب من طائرات القتال المصرية .

« ما هذا الشعور الذي حرك الساكن ، ونشط الخامد ، وأحيا الجاد ؟ إنه الفرح بالجلاء الأجنبي عن أرض شقيقة لنا عربية ، والجلاء عن سوريا ليس إلا مطلع ذلك الفجر الجميل في ليل الشرق الطويل ... الخ الخ »

***

قرأت هذا فلم أدهش ولم أكذب عيني لأن توفيق الحكيم قد طار مندوبا لأخبار اليوم مع مصورها الخاص ليسجلا حفلات الجلاء عن سورية !

فما في هذا شيء يدعو إلى الدهش أو العجب ، فهي «واحدة» من « وحايد » الأستاذ توفيق « كصينية البطاطس » و « عدو المرأة » . و « البيريه » على الرأس و « حمار الحكيم » ...

ويشار كونها في أفراحها ، ويقبسون أول شعاعة من شمس الحرية التي أشرقت على العرب بعد ليل طويل ، وكان مشرقها دمشق .

قفوا لحظة على هذا الفسطاط فانها ستقف عليه الأجيال ، إنه سيقدسه التاريخ ، إنه سيكون لنا كما كانت حطين للجدود .

إنها ساعة حاسمة في تاريخ العالم ، فقد تحرك فيها الفلك ، وانقلبت في تقويم البشر ورقة جديدة . إن الأيام ما زالت سجالا بين الشرق والغرب ، والدنيا بينهما نُوَبًا : قام الشرق يحمل منار الحضارة وسيف الظفر بأيدي المصريين والبابليين والحيثيين والفينيقيين ، ثم انتقلا إلى الغربيين إلى اليونان والرومانيين ، ثم عادا إلى الشرق الذي أيقظه محمد ، إلى المسلمين ، ثم آبا إلى الغرب لما ترك الشرقيون هدى محمد ، وهاهما يتحركان الآن ، ليعودا إلى الشرق ...

وعز الشرق أوله دمشق[1] ...

* * *

لقد ضاع حلمك ياغورو ، وتبدد ، وخابت أمانيك يادي غول ، وحقق الله الأمنية التي كان يجيش بهـا صدر يوسف العظمة ، شهيد ميسلون ، وسيحقق أمانيّ سعد ورشيد وعبد الكريم وعمر المختار وعبد القادر وجناح في الهند ، ولم لا ؟ وأهل سورية التي نعمت بالجلاء لا يزيدون إلا قليلا عن سكان القاهرة اليوم ، والعرب كلهم بدولهم وحكوماتهم ... أقلّ من مسلمي الهند !

فتيهي يا دمشق واعتزى ، فقد كنت عاصمة العرب في أول الدهر ، حين أنشئ فيك الملك الضخم ، وأقيمت الدولة العظمى ورسا عرش عبد شمس على تراك ، فطالت فروعه النجم ، وأظلت المشرق والمغرب ، وطلع على الدنيا مجداً ورخاء وأمنا . وعدت اليوم عاصمة العرب حين كنت أول بلد عربي تخلص لأهله بعد الاحتلال ، فلا يشاركهم فيه جيش حليف ولا منتدب ولا وصي ولا محتل ...

يا دمشق لقد عادت أيام معاوية وعبد الملك والوليد ، لقد اتصل التاريخ الذي كان انقطع منذ قرون !

( لها بقية ) **علي الطنطاوي**

(١) شوقي

وأخيراً « قطط الحكيم » التي ظهر في مجلة الاثنين يحملها بين يديه ، كآخر رفيق بعد الحمار الذي أوفده في مهمة خاصة ! !

لم يدهشني إذن أن يطير الأستاذ توفيق ليسجل حفلات الجلاء في سورية مع مصور أخبار اليوم ... إنما الذي أدهشني حقاً هو ذلك الانقلاب في رأي الأستاذ توفيق وشعوره إزاء قضايا الشرق العربي والاستعمار الفرنسي . وهو انقلاب يجب تسجيله ، لأن تسجيله مفيد .

حينما كانت الأزمات على أشدها بين أمم الشرق العربي وفرنسا ... حينما كان بعض الكتاب يحملون على فرنسا حملات نارية لأنها تستخدم الوسائل البربرية في قمع الشعور الوطني في نفوس العرب ... حينما كانت دماء بعضهم تغلي لأنه لا يطيق أن تتحكم هذه البربرية في مصير العرب في سورية ولبنان وفي الشمال الإفريقي ...

في هذه الأوقات كان للأستاذ توفيق الحكيم رأي آخر ، أشار إليه الأستاذ « عبد النعم خلاف » إشارة صريحة على صفحات الرسالة بعد مشادة عنيفة بينه وبين الأستاذ توفيق في جلسة من جلسات لجنة التأليف والترجمة والنشر وأشرت إليه من بعيد في مقالة لي بالرسالة بعنوان : « هذه هي فرنسا » !

ولقد كان الأستاذ توفيق يثور وينفعل ، لأن فرنسا في خطر ، ولأن فرنسا ذخيرة إنسانية فداؤها كل شيء . ومن كل شيء هذا الشرق العربي الجاهل المجنون !

لقد أدهشني ولاشك ذلك الانقلاب . ولكنه أفرحني أيضا ، فهذا « سحر الجلاء » وسره العميق ! هذا هو النور الذي يكشف الغشاوات الوقتية التي تحجب النور حتى عن العيون الفطنة اللماحة مثل عيني الأستاذ توفيق الحكيم !

« وهبطنا مطار المزة ، فوجدنا في الانتظار دولة سعد الله الجابري رئيس الوزراء . فما كاد يراني حتى ابتدرني قائلا :

— وأين حمارك ؟

فقلت على الفور :

— أوفدته ليشيع المحتل الراحل بما يناسب المقام !

وكدت أتابع الحوار فأنوب عن دولة سعد الله الجابري لأقول :

— ولكن المحتل الراحل هو « فرنسا » يا أستاذ توفيق !

إلا أنني ذكرت « سحر الجلاء » سحر الاستقلال ذلك الذي يكشف الغشاوات الوقتية التي تحجب النور حتى عن العيون الفطنة اللماحة مثل عيني الأستاذ توفيق الحكيم .

* * *

كم في مصر من المخدوعين بفرنسا ! وكم فيها من المخدوعين ببريطانيا ! وكم فيها من المخدوعين بأمريكا ! وكم فيها من المخدوعين بالعالم الغربي على وجه العموم !

هؤلاء جميعا أدعوهم لمراجعة الوصف الطلي الذي قدمه الأستاذ توفيق الحكيم عن يوم الجلاء في سورية ، بعد الانقلاب المظيم

كم هم كثيرون ... أولئك الذين حجب الاحتلال الطويل لبلادهم ذلك النور عن عيونهم ، فتركهم لا يتطلعون إلا إلى وهج الغرب المستعمر الذي يعشي الأعصاب والعيون .

وكم نحن في حاجة إلى « سحر الجلاء » ليجلو الغشاوة عن هذه العيون ، فتبصر النور القريب . النور الذي يشع من داخل نفوسهم هم ، وهم به لا يشعرون !

إنني فرح بهذا الانقلاب في شعور الأستاذ توفيق الحكيم ، فليعذرني إذا أنا تجاوزت معه أسلوبي المعهود !

* * *

وبعد فما أحرى هذا الانقلاب أن يزيد كلمة « الجلاء » في أنفسنا إعزازاً ، وأن يزيدنا عليها إصراراً . فهذا الجلاء في سورية هو الذي سحر أحد عشاق فرنسا المعجبين المتحمسين ، فجعله يرسل حماره ليشيع المحتل الراحل بما يناسب المقام !

وليس هو بالمكسب اليسير أن يسترد الشرق رجلا فنانا من طراز الأستاذ توفيق الحكيم ، بطير ليحضر حفلات الجلاء في سورية ، فهذا وحده كسب يغرينا بطلب الجلاء العاجل عن الشرق كله . ولعل الأستاذ توفيق وإخوانه من عشاق فرنسا ، لاينسون سحر الجلاء إذا نحن طلبناه للشمال الإفريقي أيضا . ولعله يومئذ يرسل حماره ليشيع المحتل الراحل بما يناسب المقام .

سيد قطب

أوراق مبعثرة :

# من ظلال الهوى ...

## للأستاذ صلاح الدين المنجد

ماذا تريدين منى ، فى هذه العشية الصافية ؟
لِمَ تنظرين إلى بعينيك المجرمتين ، هذه النظرات الفاتنة ؟
لِمَ ترسلين من شفتيك ، الرفافتين بالخطايا ، بسمات آسرة ؟
أتحاولين إغرائى مرة أخرى ؟
لقد أوى قلبى ، كعصفور جريح ، إلى عشه وأغمض عينيه .
فدعيه ينعم بالهدوء ...
وابتعدى عنى ... أنت يا خائنة

* * *

نشواى ، يا أفعى من أفاعى الجحيم .
اسمعى ... لن آسف على ما مضى .
لقد ذبت فى هواك الخادع ،
وقدمت إليك روحى صافية كالدرة ، نقية كالندى ،
فلما آنست منى الحب والعطف ،
وشع فى عينى الوله والالطف ،
تلونت تلون الحرباء ، يا نشوى ، وأعرضت عنى لاهية جذلى . فانثنيت على قلبى ، أبكى هواى ، وأذيب فى دمى أساى .
فلم عدت هذه العشية يانشوى تؤرثين أشجانى ، وتهيجين أحزانى ؟
لقد مللتك فدعينى .
دعينى ، ويلك ، يا خائنة !

* * *

نشواى يا نشوى .
أيامك المواضى ، حلم شهى ، رف وامّحى .
وهمسك الحلو فى أذنى ، فى عشيات الربيع ، ضاع ونأى .
وزهرك المنضور ، المخضل بالعطور ، جف وذوى .
لا تقربى شفتيك اللاهبتين من فمى .
ابتعدى ، فأنفاسك تهيجنى ...
حولى نظراتك عنى ، فالشهوة فيهـا تفور ، والنـار فى جسمك تثور .
أنبكين ... ؟
عودى ، ودعينى ، أنت يا خائنة .

* * *

كانت بسماتك زهرات فردوس موهوم ، فى رحيقها سم مختوم؛
وغمزات عينيك ، كن شظايا من جحيم ملعون .
وكانت شفتاك ترعشان بين شفتى ، كورق الورد الندىّ ، فى نسمات الربيع .
وكنت أرويك الهوى حلوا .
فاصفرت البسمات يا نشوى ، وضاعت غمزات .
وتلوت الأفعى وقالت لا أريد ، لا أريد .
فلم عدت تهيجين أشجانى يا نشوى ، وتثيرين أحزانى .
فجراحى ندية وقلبى متعب ، ودمى يسيل .
فابتعدى عنى ، ابتعدى ، أنت ياخائنة .

* * *

لكن تعالى يا نشوى تعالى ...
لا تخفك نظراتى وزفراتى .
لم تدرين وكنت مقبلة ، وترعشين وكنت هادئة ؟
أأدعك قبل أن أنتقم ...
أين دمائى التى أهرقتها ، وقلبى الذى ضل ؟
سأمتص دماءك ، فهى دمائى .
وسأمزقك ألف قطعة وقطعة .
شد ما أبغضك ...!
اقتربى ، ولا تعودى ، أنت يا خائنة ...

* * *

آه ! ما أضعفنى ...
لا تخافى ، فأنا كاذب فيما أقول ...
اقتربى ، فأنت قرة العين ، وهواى المرتجى .
اقتربى ، ولا تعودى ، أنت يا فاتنة ...

( القاهرة ) **صلاح الدين المنجد**

---

**جامعة فاروق الأول — كلية الآداب**

نشر ضمن إعلان ٥٢٠٨ بالعدد ٦٦٩ فقرة رقم ٢ — يدخل هذه المسابقة من تخرج فى كلية الآداب بجامعة فاروق أو بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٣ والصواب بعد سنة ١٩٣٣ .

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والجبال ... ]

## للأستاذ محمود الخفيف

- ١١ -



تتمة الكلام عن مسرحية كومس :

ويهرب كومس وقبيله ، ويحسب الأخوان أنهما غلباه على أمره ، ولكن الروح الحارس يلقي إليهما أن أختهما لا تزال مقيدة بسحر كومس لا تستطيع حراكا كأنها التمثال الحجري ، فكان عليهما أن يختطفا عصاه ، فإنه لا يبطل سحره إلا إذا قرىء ما على العصا قراءة عكسية تبتدىء من النهاية . على أن الروح يخبرهما بأن لديه حيلة فليس لها أن ييئسا ، أما حيلته فهي أنه سيستنجد بسابرينا عذراء نهر السڤرن ؛ ويصف لها سابرينا ومستقرها بين عذارى الماء ، وكيف أتيح لها أن تكون من نبات الخلود ، ويذكر ما في طاقتها من عون لطالبي العون حتى إن الرعاة لينشدون لها الأغاني ويلقون في النهر زهرات من كل لون تحية لها ، وهي تحب أن تنجد العذارى مثلها إذا كن في مثل ما كانت فيه من ضيق وشدة ، وأعظم ما ينهض بها إلى النجدة الغناء ، ولذلك فإنه يستحثها بأغنية ، ثم يهتف منشدا متوسلا إلى سابرينا بكل عزيز عندها من الآلهة والألاهات فلا يكاد يخلو سطر من نشيده من اسم من أسماء هؤلاء .

وتظهر سابرينا وحولها بعض عذارى الماء ، فتغني أغنية قصيرة تصف فيها من أين أتت وكيف أقبلت سريعة خفيفة حتى إنها لتطأ الزهر فلا تنحني سوقه ، وتعلن إلى الراعي أنها رهن طلبه ، ويشير الراعي إلى الفتاة المسحورة ويؤكد عذرتها ويذكر ما عانت من السحر ، وتجيب سابرينا أنه ليس أحب إليها من أن تأخذ بيد العفة المضطهدة ، وتتجه إلى الفتاة وتلقي على صدرها نقطا من سائل معها وعلى شفتيها وطرف إصبعها فتبطل سحر كومس . وما تكاد تنطلق حتى تنهض الفتاة كأن لم يكن بها شيء . ويبتهج الروح الحارس أو الراعي فيثني على سابرينا ويدعو لها من قلبه بكل جميل ، وينبىء الفتاة أنه سيصحبها إلى قصر أبيها حيث يلتقي المهنئون من الأصدقاء ، ويطرب الرعاة والقرويون ، وسيضاعف حضورها طربهم ، ويزيد الحاضرين جميعا فرحا على فرح .

ويتغير النظر على المسرح ، فتمثل مدينة لادلو وقلعة الرئيس اللورد ، ويتقدم على المسرح رهط من الراقصات القرويات وفي إثرهن الراعي ومعه الأخوان وأختهما ، ويخاطب الراعي القرويات ويسألهن في أغنية قصيرة أن يذهبن ، ويتمنى لهن عودة إلى سرور كهذا السرور ، ثم يقدم الأخت وأخويها إلى أبيها في أغنية أخرى مثنيا على شباب الفتيين ، وعلى عفة الفتاة ، وانتصار الجميع على الحماقة والنزق .

ويختم الراعي المسرحية بأغنية طويلة ، فيذكر إلى أين يذهب بعد أن أتم عمله ، ويصف مواطن الحبور والجمال التي ينطلق إليها وصفا يعيد إلى الذهن قصيدة الأليجرو ، وما تفيض به من صور المرح وتلميحات الميثولوجيا .

ويعلن الراعي أن من يريد أن يلحق به من بني الفناء فسبيله الفضيلة ، فالفضيلة وحدها هي التي تعلم النفس كيف تسمو وكيف تنطلق ، ولئن مس الفضيلة الضعف فلها من السماء عون .

* * *

تلك هى خلاصة الغنائية المسرحية ، وهى تتضمن كثيراً من آراء ملتن وفلسفته ، فكل شخصية فى الغنائية تعبر عما يريد ملتن من معان ، وتصف فى الواقع ناحية أو موقفاً من مواقف حياته ، فالعذراء تستمسك بالعفة كما استمسك هو بها ، وتواجه الإغراء الشديد وتقاومه كما واجه وقاوم ، وأكبر الأخوين يمتدح الفضيلة ويدافع عنها ويؤمن بها كما يفعل ملتن وكما يحس ، وكومس نفسه تراه فى وصف الطبيعة وصلتها بالنفس عن طريق ما تحدثه مشاهدها ومسراتها من أثر فى الحواس يعبر عن جانب من إحساس الشاعر الشاب ، وأصغر الأخوين يفصح بكلامه عن وساوس الشك التى تطوف أحياناً بنفس ملتن على الرغم من استعفافه وزهده وعزلته والتى يتغلب عليها بالصبر وقوة العزيمة فيحس لذة النصر .

أما عن فلسفته فى الغنائية ، فأساسها الصراع بين العفة تمثلها العذراء، والشهوة يمثلها كومس، ومهما يكن من إغراء الشهوات وتحايلها فإن الغلبة للفضيلة ؛ ولن تعدم الفضيلة عوناً من الله ، ويتجلى هـذا العون فى الروح الحارس الذى دل الأخوين على طريق الخلاص

وللتن نظرة فى الطبيعة وصلة النفس بها ، فهو لايحرم طيباتها وزينتها ، ولـكنه كذلك لا يذهب فى الاستمتاع بها مذهب كومس ، فيجعل الأمر فيها أمر لذة وفجور واغتنام ونهب فى غير مبالاة كما تفعل البهيمة . وعنده أن تأخذ النفس من طيبات الحياة كما تقضى الحكمة ، ومقومات الحكمة عنده الاعتدال والقناعة والعفة ، وعلاقة المرء بالحياة والطبيعة على هذه الصورة طريق من طرق السمو الروحى بالنفس الإنسانية إلى معارج الكمال ومسالك الهداية

وينم كلام كومس فى امتداح الطبيعة عن نزوع نفس ملتن إلى الطبيعة وجمالها وقوة إحساسه بمباهجها وزينتها ؛ ويتضح هذا الميل القوى فى ذلك المعنى البديع الذى نطق به كومس ، ألا وهو قوله : إن الإنسان بزهده فى جمال الحياة ومتعها لايؤدى حق الشكر للمنعم ولا حق الثناء عليه . وما يخاف ملتن إلا شيئاً واحداً هو الفتنة ، ولـكن إذا اعتصمت النفس بالفضيلة تمتعت بأنعم الله ونجت من الزلل ، فالطبيعة مما أنعم الله به علينا ، وأنعم الله خير كلها ، والغرائز والميول الطبيعية كذلك خير واتباعها تنفيذ لمشيئة الخالق ، وهو لذلك يحب الطبيعة من ناحيتين : أولاهما : ما تظهره من جمالها الذى يبهج النفوس ؛ وثانيهما : ما تخرجه من كنوز خيراتها وما تبثه فى الكون من نماء وتجديد واتساع وكل أولئك من مقومات الحياة

وكذلك ينم كلام أكبر الأخوين عن الفضيلة كما ينم كلام العذراء عن العفة والعذرية ، عن ميل كان فى نفس ملتن أثناء مقامه فى هورتون ، فقد كان يميل إلى البقاء عزباً حتى يتفرغ لرسالته ، وأراد أن يستعفف حتى لا يزل ، فتولدت فى نفسه فكرة ، وهى أن الشهوة أصل الفسوق كله والفجور والرجس ؛ وعلى ذلك فلا بد من تغليب العقل على العاطفة ، أو الروح على الجسد ، وهذا الصراع بين العفة أو الطهر وبين الشهوة يتضمن بالضرورة قيام وساوس الشهوة فى نفسه ، شأنه فى ذلك شأن كل فتى مثله ، ومرد الشهوة إلى العاطفة ، ومرد الرغبة فى قهرها إلى الحكمة ، وما دام أنه يحس العاطفة فى نفسه إحساساً قوياً ، وأنها أمر طبيعى ، فهى إذاً لم تخرج فى مظاهرها أو نتائجها عما تقضى به الحكمة كانت أمراً مشروعاً لا نكران له ، ومن ذلك نشأت فى رأسه فكرة سوف تظهر فى كثير من آثاره ، وهى العمل على وجود التوافق والانسجام بين القلب والعقل

وثمة شىء آخر نستخلصه من الغنائية ، وهو صفة شائعة فى بقية شعره فى هورتون ، ونعنى بها روحه الإنسانية وتتضح فى شدة إحساسه وصدق استجابته لمعانى الحياة ، وشعوره بكل ما يشعر به القلب الإنسانى من دواعى الفرح أو الحزن أو الراحة أو الألم ، وكل ما يهجس فى النفوس من رغبات وينهض بها من مطامح ؛ وفى هذا كله أبلغ دليل على أن ملتن لم يكن الشاعر المتزمت كما عسى أن يفهم من تمسكه بالفضيلة ، كما فيه خير مصداق لقول القائل : « إن ملتن كان خاتمة الأليزابيثيين »

## ليسيداس :

كانت ليسيداس آخر قصيدة نظمها الشاعر فى هورتون ، وكانت فى رثاء صديق له هو إدوارد كنج أحد زملائه فى كمبردج وكان شاعراً له قدره ، وقد غرق هـذا الصديق سنة ١٦٣٧ أثناء رحلته من شستر إلى أرلندة ، وأعد أصحابه فى كمبردج عدداً

من المراثى انتظمها كتاب صغير ، وكان من بينها مرثية ملتن !

بدأ ملتن مرثيته بإشارة إلى بعض الأزهار التى يوحى ذكرها الشعر قائلا إنه يعود إليها ليقتطفها مبتسرة لم تتفتح ، وهو يرمى بذلك إلى أنه يعود مرة ثانية إلى الشعر قبل أن يتم استعداده كما يجب ، فإن حادثاً جللا يعز عليه معه أن يظل صامتاً ، وذلك هو موت ليسيداس ، وكان ليسيداس اسماً اصطلاحياً على أى راع من الرعاة ، وقد شبه ملتن صديقه بالراعى تلميحاً إلى الشعر الغنائى ونشأته على ألسنة الرعاة ...

ويتساءل الشاعر : منذا الذى لا يغنى لليسيداس وهو الذى عرف كيف يغنى وكيف يطرب ؟ فلا أقل إذاً من أغنية دامعة على هذا الراحل العزيز !

ثم يستحث ملتن ربات الشعر اللائى يقمن فى سفح الأولمب عند البئر المقدسة ، حيث موطن (جوف) ويسألهن العون، فقد كان ليسيداس قرينه ، كانا راعيين معاً على تل واحد يطعمان غنمهما ويسقيانها من نبع واحد ويأويان بها إلى ظل واحد ويغنيان لها بزمارة واحدة ... ويستطرد فى وصف حياتهما معاً وما يحيط بهما من مظاهر الجمال والاستمتاع على صورة أشبه بما جاء فى قصيدته الأليجرو ، وهو إنما يقصد حياة الشعر وجمال دنياه !

وينتقل بعد ذلك انتقالة حزينة بذكر ما حدث من موت ليسيداس فيذكرنا بقصيدته البنسروزو ؛ فسوف يقع نبأ فقده فى أنفس الرعاة أو الشعراء كما تقع الحشرات والصقيع على الزهر والحشائش النضرة .

ثم يسأل الشاعر عذارى الماء أين كُنّ حين أطبقت اللجة على ليسيداس الذى أحببن ؟ ولكن ما ذا يجدى هذا الحلم وما عسى أن يصنعن لو أنهن كن حاضرات ...

ويتساءل الشاعر بعد ذلك فى فقرة حزينة تعد من أبلغ ما كتب عن جدوى الشعر ومعاناة قرضه إذا كان مصير الشاعر إلى مثل هذا الفناء الباغت ؛ أليس أجدى على المرء أن يرتع ويلعب ؟ إن الصيت والرغبة فى المجد هما اللذان يحفزان الأنفس النبيلة فتحتقر اللعب وتقبل على التاعب ، ولكن القدر الباغت يذهب بهذا كله . وإنما يشير ملتن فى هذه الفقرة إلى ما يخشى على نفسه كما يشير إلى ما حدث لصاحبه ، ثم يستدرك قائلا إن أبولو يرد عليه مذكراً إياه أن المرء يفنى ولكن المجد والصيت لا يلحق بهما الفناء ، وكأنه بذلك يعزى نفسه ...

ويعتذر الشاعر عن نبتيون إله البحر بفقرة جميلة رائعة الخيال ويبرئه من إغراق ليسيداس ويعود باللائمة على الحظ العاثر ، ثم يلمح إلى جامعة كمبردج ويذكر مبلغ حزنها على ابنها الذى فقدته .

ويبتعد الشاعر عن جو المرثية الذى جعله كله ريفياً فيحشر فى آلهة الأغريق التى يلمح إليها « لود » كبير الأساقفة يومئذ ويشتد فى الحملة عليه وعلى شيعته ويرميهم بالجهل ، ويأتى فى حملته عليهم بجملة قوية فيصفهم بأنهم « تلك الأفواه العمياء » ويقصد بالأفواه النهم والجشع والإقبال على الدنيا ، والابتعاد عن الحياة الروحية . وأما العمى فهو عمى بصائرهم وموت أرواحهم . وتفسر هذه الحملة على لود فى هذا المقام بأن صاحبه إدوارد كنج كان يكره كبير الأساقفة وشيعته كما كان يكرهه ملتن لجمودهم واستبدادهم، وطالما قرأ ملتن وصديقه كنج الفلسفة معاً وعلوم الدين فكأنما يكره الشاعر إذ يرثى صديقه أن يموت ذلك الصديق ويعيش لود وأتباعه .

ويعود ملتن إلى جوه القروى ، جو الرعاة والشعر ، فينادى الوديان والشطآن أن ترسل زهرها من كل لون وفى مآقيه دموع الندى ليوضع هذا الزهر حيث يوسد ليسيداس .

ويدعو الشاعر الرعاة أن يمسكوا عن البكاء فما مات ليسيداس وإن طواه اليم ، فهو كالشمس كوكب النهار ، تغرق فى ماء المحيط ، ثم ما هى إلا ساعات وترفع جبهتها الوضاءة من اليم فيكون الاصباح ، وسيرفع ليسيداس جبهته فى عالم النعيم الدائم؛ حيث يتلقاه القديسون والصالحون ، وهو منذ اليوم جنّى الماء يلتمس الخير عنده كل من يرد الشط .

وتعد هذه المرثية من أجل المراثى فى اللغة الانجليزية إن لم تكن أجلها وأعظمها جميعاً . وهى فى غير تحفظ أجل مرثية فى صديق فى تاريخ تلك اللغة . أما من حيث قوة الشعر فيها فقد بلغ ملتن هنا ما لم يبلغه فى غيرها من السمو والقوة ، حتى لتعد نموذجا لشعره إذ يكتمل ، وللشعر الانجليزى فى أرفع درجاته ، ولروح الشعر على الاطلاق فى أية لغة وفى أية مناسبة ، إذ يكون له من السحر والروعة ما يكون للأثر الفنى الخالد المعجز .

* * *

هذه القصائد الخمس هى كل ما نظم ملتن أثناء مقامه فى هورتون ، وهى كما أسلفنا القول كفيلة أن تحل ملتن بين الصفوة من شعراء الغناء ، كما أنها كفيلة وحدها لو لم يكن له

غيرها أن تجعل منه شاعراً فذاً مرموق المكانة ، بيد أنها على الرغم من ذلك لم تخل كما قلنا من هفوات .

تزدحم قصيدتاه الاليجر والبنسروزو بتلميحاته الميثولوجية ازدحاماً يكاد يحس معه المرء أن شعر ملتن هنا غلبت فيه الصنعة على الفن ، وأنه يميل إلى إظهار معرفته بالأغريقية واللاتينية أكثر مما يعنى بفنه . وكذلك تعد عليه في هاتين القصيدتين هفوات عند وصفه الطبيعة تدل على أنه أحيانا ينقل عما يقرأ أكثر مما ينقل عما يرى ، فهو يشير مثلا إلى زهرات في زمان غير زمانها ويجعل لها لونا غير لونها ، كما أنه يصف أوراق شجرة من الأشجار بما هو بعيد عن طبيعتها . ويؤخذ عليه في قصيدة الأليجرو أنه أغفل أمر الحب كصورة من صور المرح ، وإغفال صورة كهذه تعد من أقوى صوره أمر معيب وبخاصة إذا كان مرده إلى مبالغة ملتن في الحرص على العفة ، فلا يصح أن يتعمد شاعر إهمال هذه الناحية الإنسانية القوية تشيعاً منه لنزعة من نزعات الفكر ، فان ذلك لا يتفق مع صدق الفن وصراحته .

أما مسرحيته الغنائية كومس فاننا وإن صرفنا النظر عن ضعف بنائها كسرحية غنائية نجدها لا تخلو من مآخذ ، وأهمها هذه الطريقة الوعظية التي لجأ إليها ملتن ، أوهذه النزعة التعليمية التي جملته يطنب في إرسال آرائه على ألسنة المتحدثين في المسرحية بصورة كادت تبعث على الملل في كثير من المواقف . وحسبك أن يتناقش الإخوان في مائة وستين سطراً فيما إذا كانت الفضيلة تعصم أختهما من الخطر ، وأن يطيل الروح الحارس حبل الكلام فيستنفد وحده مائة وسبعين سطراً قبل أن تتخذ أية خطوة لإنقاذها ، مما يبعد المسرحية عن روح المسرح وما تتطلبه من حركة وفعل، ومما يجعل المرء يحس أن مواقفها متكلفة لمجرد التعبير عن أفكار الشاعر . ويأتى بعد ذلك عيب آخر وهو مبالغة أكبر الأخوين في ثقته بالفضيلة ، الأمر الذى يضعف في النفس اللهفة على الفتاة وقد تاهت في ظلمات الغابة . ومثل ذلك العيب إغراء كومس الفتاة ، فان إغراءه لم يزد على كونه بعض الآراء الفلسفية الجامدة مع إشارة إلى سحر ذلك الشراب ، ولو أنه كان حواراً قصيراً يعرض فيه جوانب الرأى لكان أوقع في النفس وأدنى إلى روح الدراما ، وأبلغ في الاغراء وفى امتحان عفتها من ذلك الكلام الشبيه بلغة المدارس أو أسلوب المقالات . والحق أن الغنائية كلها مواقف وأشخاصا إن هى إلا وسيلة أراد بها ملتن أن يعبر عن أفكاره ، فلو أننا قارنا بينها وبين الدراما المسرحية لرأينا كأنما ظهر الملقن على المسرح في هذه الغنائية ، وأخذ يلقن كل شخصية ما تقول ...

أما من حيث فلسفته الغنائية ، فقد خلط ملتن بين العفة وبين العذرة ، والعفة إذا انتهت إلى الزواج أمكن الجمع بين مباهج الحياة وجمال الطبيعة والحكمة المطلوبة ، ولكن أن تظل الفتاة عذراء أبدا أو يظل الفتى عزبا أبدا دون أن يقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ثم يحاول مع هذا الزهد الصارم أو هذا الحرمان أن يأخذ بقسط من جمال الحياة وثمرات الطبيعة فهذا ما يصعب تصوره . ومرد هذا الاضطراب إلى تذبذب الشاعر بين الطبيعة وفرط حبه إياها حبا تجلى فيما قاله على لسان كومس وبين حرصه على قواعد الخلق التى التزمها منذ صغره ، والتى هى أقرب الأشياء إلى طبيعة البيوريتانية التى كان يميل إليها . ولعل تمسكه يومئذ بأن يظل عزبا ليتفرغ لرسالته مع شغف نفسه بالجمال وإحساسه بالحياة كان له أثره في هذا التناقض الذى أضعف فلسفته .

وكذلك يؤخذ على ملتن أنه لم يرنا كيف تكون العفة سبيلا إلى قوة خفية سماوية ، فهذه مسألة ظلت مبهمة ، ولهذا ضعف وقعها في النفس .

ومما يلفت النظر في الغنائية أن كومس في محاولته إغراء الفتاة قد سخر من العفة في ذاتها وعدها كلمة جوفاء ، كما أنه أغراها بالطبيعة ومفاتنها وطيباتها ، فلما أرادت أن ترد كان ردها موجها إلى محاجته في الطبيعة ، أما ما سخر به فلم ترد عليه إلا بامتداح العفة فحسب ، كقولها إنها القوة المتشحة بأشعة الشمس ، وكان أولى بها أن تبين أثر العفة في تطهير النفوس لتستبين قوتها ، ولقد بدا ملتن هنا في أضعف مواقفه في الغنائية ، حتى لكأنه لا يدرى ماذا يقول .

هذه هى المآخذ التى توجه إلى شعر ملتن في هورتون ، ومهما يُقل فيها ، فهى أقل من أن تذهب بشيء من قيمة هذا الشعر الذى بلغ الذروة الفنية ، والذى قل أن يقع المرء على نظيره في اللغة الانجليزية كلها روعة أداء ، وعذوبة موسيقى ، وإشراق لفظ ، وسمو معنى ، مما يجعله مزيجا فذا من جمال العصر الأليزابيثى ومن ثقافة ملتن ، مزيجا طبعه بطابع الفحولة ، حتى بات بين ما أنتجت الدنيا من شعر في قديمها وحديثها وله مقام معلوم .

(يتبع) **الخفيف**

القضايا الكبرى فى الاسلام

# قضية زيد وزينب

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

قضية زيد بن حارثة وزينب بنت جحش من أكبر القضايا الإسلامية ، وتمتاز بما كان فيها من تنحى القاضى الذى رفعت إليه أولاً عن الحكم فيها ، لأنه رأى أن له فيها شأناً ، فلا يصح أن يحكم فيها وله شأن بها ، وذلك أصل معروف من أصول القضاء وقد عمل به النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه القضية وإن لم يكن محل ريبة ، ليضع ذلك التشريع فى القضاء الإسلامى ، ويأخذ به القضاة فى التنحى عن نظر القضايا التى يكون لهم فيها شأن .

ويرى الذين كتبوا فى هذه القضية أنها تبتدىء من النزاع الذى حدث بين زيد وزينب بعد زواجها ، وإنى أرى أنها تبتدىء من ذلك الزواج نفسه، وأن ذلك الزواج لم يكن إلا تمهيداً لهذه القضية التى لم يكن أمرها مقتصراً على زيد وزينب ، وإنما كانت وسيلة لإبطال عادة ظالمة من أكبر عادات العرب فى جاهليتهم ، بل من أكبر عادات الأمم القديمة من عرب وغيرهم . وقد اختيرت هذه القضية لإبطال هذه العادة ، واختير أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم هو البادىء بإبطالها فى أمر نفسه ، لأن ذلك هو شأن كل مشرِّع ، ولأنه كان لتلك العادة سلطان على النفوس ، فلا يهوِّن من أمرها إلا أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم هو البادىء بإبطالها .

كان العرب فى الجاهلية يلحقون بعض الأجانب بأولادهم ، ويعطون الدعىّ جميع حقوق الولد فى الإرث وحرمة النسب وغيرها ، كما كانوا يخلعون أبناءهم من نسبهم لسبب من الأسباب فيأتى الرجل منهم بابنه إلى الموسم ويقول : ألا إنى قد خلعت ابنى هذا ، فإن جرّ لم أضمن ، وإن جر عليه لم أطلب ، فلا يؤخذ بجرائره .

وكان زيد بن حارثة من بنى كلب ، وأمه سعدى بنت ثعلبة من بنى معن بن طىّ ، فزارت قومها ومعها زيد ابنها ، فأغارت خيل من بنى القين على قومها ، فاحتملوا زيداً وهو غلام يفعه ، فأتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، فلما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم وهبته له ، وقد مكث عنده حتى حج ناس من كلب فرأوه فعرفهم وعرفوه ، ولما رجعوا إلى قومهم أعلموا أباه حارثة بموضعه ، فخرج هو وأخوه كعب بفدائه فقدما مكة ، ثم أتيا النبى صلى الله عليه وسلم وهو لم يبعث بعد ، فقالا له : يا ابن عبد المطلب ، يا ابن سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله ، تفكون العانى ، وتطعمون الأسير ، جئناك فى ولدنا عندك ، فامنن علينا ، وأحسن فى فدائه ، فإنا سنرفع لك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : زيد بن حارثة . فقال : أو غير ذلك ؟ ادعوه فخيروه ، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى فداء . ثم دعاه فقال له : هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا أبى ، وهذا عمى . فقال له : فأنا من قد علمت ، وقد رأيت صحبتى لك ، فاخترنى أو اخترهما . فقال : ما أنا بالذى أختار عليك أحداً ، أنت منى بمكان الأب والعم . فقالا له : ويحك يازيد ، أتختار العبودية على الحرية ، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك . فقال لهما : قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذى أختار عليه أحداً : فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه إلى الحِجْر فقال : اشهدوا أن زيداً ابنى يرثنى وأرثه . فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما ، ثم انصرفا إلى قومهما .

فصار زيد يُدعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام ، فكان من أسبق الناس إسلاماً ، ثم هاجر إلى المدينة ، وقد زوجه النبى صلى الله عليه وسلم مولاته أم أيمن ، فولدت له ابنه أسامة . فلما كانت السنة الخامسة من الهجرة أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يبطل عادة التبنى ، لأنه لا يصح أن يكون الولد ولداً بقول تنطق به أفواهنا ، وإنما الولد قطعة من أبيه ، فهو أبوه بذلك أراد أو لم يرد ، وهذه هى الحقيقة والفطرة وما عداها كذب وغش ، وليس للرجل أن يكون له حق إرث أقربائه ، ثم يأتى بأجنبى عنهم فيجعله ولداً له ، ويؤثره بإرثه دونهم ، فذلك ظلم من أكبر الظلم ، وقطيعة لا ترضاها شريعة من الشرائع العادلة .

فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يختار له زوجا ليعقبه عليها ويبطل بالفعل قبل القول تلك العادة الظالمة ، ولهذا خالف ما فعله

معه فى الزواج الأول حين اختار له مولاته أم أيمن ، فكان نسبها قريباً من نسبه ، لأن قرب منزلة الزوجين فى النسب له أثره فى الألفة بينهما ، وفى عدم تعالى أحدهما على الآخر ، فتطيب بذلك عشرتهما ، وتستقر به رابطة الزوجية .

ولكنه فى الزواج الثانى كان يعلم أن مآله إليه ، فلم يختر فيه لزيد بل اختار لنفسه ، ليقضى الله ما أراده من إبطال عادة التبنى ولا يكون عليه حرج فى زواج من لا يريدها إذا أرادها لنفسه أولا ، ولهذا اختار لزيد هذه المرة زوجا من أعلى قريش نسباً ، وهى زينب بنت جحش الأسدية ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت بيضاء جميلة ذات خلق ، ومن أتم نساء قريش ، فلما خطبها النبى صلى الله عليه وسلم رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه ، فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت ذلك وقالت : أنا ابنة عمتك يارسول الله ، فلا أرضاه لنفسى . وكذلك أبى أخوها عبد الله بن جحش ، فأنزل الله فى شأنهما الآية (٣٦) من سورة الأحزاب ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً ) فلما سمعت ذلك زينب وأخوها رضيا وسلما . وجعلت زينب أمرها بيد النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنكحها زيداً ليقضى الله ما أراده من زواجه بها .

وما كان الله ليزوج زينب زيداً على غير رغبتها لتكون زوجا دائمة له ، وهو قد شرع فيما شرع استئمار النساء فى النكاح ، حتى يكون النكاح عن رغبتهن ، ويكون عشرة طيبة راضية لانزاع فيها ولا خلاف ، بل محبة وإخلاص وتعاون على المعيشة ، وذرية صالحة متآلفة بتآلف الأب والأم .

فلما دخل زيد على زينب لم يمكنها أن تتغلب على ما تشعر به من رفعة نسبها على نسبه ، ولم يمكنها أن تحبه كما تحب الزوج بعلها ، لأن الحب ميل فطرى من صنع الله تعالى ، وليس من صنع الإنسان ولاغيره من الخلق ، فلم تحسن عشرتهما ، ولم يهنآ بذلك الزواج كما يهنأ غيرهما ، فكانت تتعالى على زيد بنسبها ، وكان زيد لايطيق ذلك ولا يحتمله ، لأنه لم يكن أرادها لنفسه عن حب لها حتى يحتمل ذلك منها ، وإنما كان شأنهما واحداً فى ذلك الزواج . أريد لها أن تتزوج به فرضيت تنفيذاً لأمر الله ، وأريد له أن يتزوج بها فرضى تنفيذاً لأمره أيضاً .

فكان زيد يشتكيها إلى النبى صلى الله عليه وسلم المرة بعد المرة ، فيأمره باحتمالها والصبر عليها ، فيصبر زيد ويحتمل تنفيذاً لأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى ضاق بها ونفد صبره ، ولم ير بدًّا من طلاقها ، فذهب إلى النبى صلى الله وسلم يشكوها إليه وأخبره هذه المرة بأنه يريد طلاقها ، فأمره أيضاً باحتمالها والصبر عليها ، وقال له : اتق الله وأمسك عليك زوجك .

كل هذا والنبى صلى الله عليه وسلم لايقضى له بفراقها . ولو كانت قضية غير هذه القضية لقضى فيها بالفراق ، وأراح الزوجين من هذا الشقاء الذى ينافى شريعة الزواج ، ويخالف حكمته المذكورة فى قوله تعالى فى الآية ( ١٨٩ ) من سورة الأعراف : ( هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ) .

ولكن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أن له صلة قوية بقضية زينب ، وأن الله لم يرد أن يزوج زيدا زينب على غير رغبتها إلا ليطلقها فيتزوجها بعده ، ويبطل بذلك بنوته له بالفعل قبل أن يبطلها بالقول ، فأمسك عن الحكم فيها بما كان يجب أن يحكم به فى نظيرها ، ليضرب بذلك مثلا للقضاة بعده ، فيمسكوا عن الحكم فى كل قضية يكون لهم صلة بها . وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم أعداء من اليهود والمنافقين ، فخشى أن يطعنوا عليه بالباطل ، وأن يقولوا إنه تزوج امرأة ابنه ، وخشى على زيد أن يقوم بنفسه شىء إذا تزوجها بعده .

ولم يكن بعد ذلك إلا أن يتولى الله الحكم فيها ، حتى لا يكون لأحد كلام فى حكمه ، فأنزل فى الحكم بطلاقها وزواجها من النبى صلى الله عليه وسلم قوله فى الآية ( ٣٧ ) من سورة الأحزاب : (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجنا كها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا ) وكانت زينب تفتخر بذلك على أمهات المؤمنين فتقول : زوجكن آباؤكن ، وزوجنى الله من فوق سبع سموات .

**عبد المتعال الصعيدى**

# الجـــذام

للدكتور أصلي محمد باهي

**لمحة تاريخية :**

إن من أخبث الأمراض التي منى بها الإنسان في هذه الدنيا هو « الجذام » أو « الأسد »؛ ويرجع تاريخ نشأته إلى العصور الخالية . وقد حاول بعض علماء أوربا أن يثبتوا أن مصر من عهد الفراعنة كانت مهد هذا الداء الوبيل مستشهدين على ذلك بما وجد من نقوش وتماثيل في هياكل لأناس لابد أن يكونوا قد أصيبوا بهذا المرض وهم على قيد الحياة ، وخلدوا إما لسمو مكانتهم أو لأغراض أخرى وخلدت معهم أمراضهم لا عن تعمد بل عن براعة في فن النحت في ذلك العصر النابر . إلا إن هناك فريقا آخر يقيم الحجة ، ويؤكد أن الصين والهند وبطاح آسيا هي منبته الأصلي ، وهو إنما جاء إلى مصر عن طريق العدوى بالتنقل والاختلاط . وأخيرا جمع الفريقان رأيهما في صعيد واحد وقالوا سواء أكانت مصر منبعه أم أن آسيا منبته ، فما لامراء فيه أنه انتقل إلى أوربا من مصر في القرون الأخيرة قبل الميلاد ، وقد ذكره الشاعر الفيلسوف : « تيتوس لوكريتيوس كاروس » . ( عاش من سنة ٩٩ إلى سنة ٥٥ ق . م ) في شعره . ووصفه الطبيب الروماني « سلزوس » ( عاش من سنة ٩٣ ق . م إلى سنة ٧ ب . م ) وصفا دقيقا بيناً مما لا يدع شكا في أنه مرض الجذام بعينه . وقد نعت في ذلك الوقت بداء « التفيل الاغريقي » وأثبت العالم الألماني « فون برجان » أن هذا المرض انتشر في إسبانيا وسهول لومبارديا بشمالي إيطاليا وألمانيا وفرنسا في القرن الثاني بعد الميلاد . وجاء بعده زميله العالم الباتولوجي « فرشو » وذكر في مصنفاته أن أوربا أنشأت مئات الملاجئ للمجذومين في مختلف أنحائها وذلك في القرن السابع بعد الميلاد . وذلك يدحض الرأي الذي كان شائعا قبلا ، وهو أن الجذام لم يغز أوربا إلا عقب الحروب الصليبية أي حوالي القرن العاشر للميلاد ، ويقول الداحضون لهذا الرأي إن هذا المرض جاء إلى أوربا قبل فجر المسيحية ، إلا أنه ازداد انتشارا عقب الحروب الصليبية .

وما جاء القرن الثاني عشر حتى شمل الجذام انجلترا والدانيمارك والبلاد الاسكندنافية وسائر أرجاء أوربا ، ثم استمر في الانتشار والازدياد حتى القرن الرابع عشر إذ بلغ إذ ذاك أوج ازدهاره ، فلما أفاقت أوربا من غفوتها وأدركت خطره ، ومن ثم أخذت في مكافحته ، ابتدأ في الهبوط والزوال إلى أن جاء القرن السابع عشر فاختفى من بعض الأقطار تماما ، وهي تلك التي ضربت بسهم وافر في المدنية ، وبقى منه النزر اليسير في تلك التي لم ترتق بها سبل الكفاح بعد إلى القدر المطلوب .

**جوهره :**

الجذام مرض مكروبي ، أي أنه لا ينشأ إلا بالعدوى بجرثومته . وقد تكون العدوى عن طريق الاختلاط أو بالوراثة ، أي أن يولد الطفل من أبوين مجذومين . ومكروب الجذام يشبه كثيرا مكروب السل ، وهو صغير جدا . ولا نقصد أنه صغير لعيننا المجردة ؛ بل نقصد إنه صغير جدا بالنسبة لأنواع أخرى من المكروبات . ولأجل أن نعطي القارىء فكرة تقريبية عن حجم هذا المكروب نقول إنه إذا وضع من المكروب ألف واحد وضعا طوليا بحيث يكون رأس الواحد بعد نهاية الآخر ، وفي خط مستقيم على نمط عربات قطار السكة الحديد كان طول هذا الخط أربعة ملليمترات فقط . أما إذا وضعت الألف منه وضعا عرضيا أي كصف من الجند كان سمكها ٠٫٣ من الملليمتر ، ومن ذلك يمكن للقارىء أن يصور لنفسه طول المكروب الواحد وعرضه .

ويعزى اكتشاف مكروب الجذام ، إلى العالم النرويجي « أرماور هانزن » في عام ١٨٧٣ ، وأما الذي درس حياته بالتفصيل ، ووضع الأسس الحديثة لدراسته البكتربولوجية ، فهو العالم الألماني « نايسر » وذلك في سنة ١٨٧٩ ، ومدة تفريخ المرض ، أي الوقت الذي ينقضي من وقت دخول جرثومته في الجسم حتى تظهر أعراضه عليه ، هي من ٣ إلى ٥ سنوات وقد تصل في بعض الحالات إلى ١٠ سنوات .

**أعراضه :**

هناك نوعان يتميز بهما المرض فى نشأته ونموه ونهايته ، وهذا يتوقف على الطريق الذى يسلكه المكروب بعد دخوله فى الجسم، فمنه ما يلازم أعصاب الجسم ويسير معها أينما سارت ، ومنه ما يحاول النفاذ إلى الجسم عن طريق الأقنية اللمفاوية . وأهم أعراضه أورام تظهر على جسم الريض فى مواضع مختلفة على شكل عقد متفاوتة فى الحجم تثبت فى مكانها ؛ وتتجمد وتنمو بمرور الوقت ، وقد تتقيح وتخرج منها إفرازات صديدية. وأكثر ما تظهر هذه الأورام فى الأطارف والوجه ، وقد تنتشر على طول الحاجبين والأنف والشفتين والخدين بحيث يتشوه الوجه ، ويكتسب طابع وجه الأسد ، ولذا سمى الجذام أيضا بمرض « الأسد » أو « التأسد » .

وكثيرا ما تنتشر العقد الجذامية على طول أصابع اليدين والقدمين ، فإذا ما أصابها التقيح أعقب ذلك عادة تنخر فى عظام الأصابع فتسقط من نهايتها ، وقد تتكرر هذه العملية إذا سار المرض من تلقاء نفسه فى هذا الاتجاه ، فلا يلبث المريض أن يفقد أصابع يديه أو قدميه . وقد يجىء الوقت الذى لا ترى من يديه إلا الكفين بعد أن فقدتا أصابعهما العشر كذلك يكون الحال بالقدمين .

وبعد أن ينال المرض غايته من أجزاء الجسم الخارجية يحول طريقه إلى الأعضاء الداخلية فيصيب الكبد والطحال والكليتين والأعضاء التناسلية وهلم جرا كلا بدوره ، ويحدث فيها من التشويهات ما شاء له ، ويأكل خلاياها الحية ويترك مكانها أوراما خبيثة ملآى بملايين الملايين من مكروبه تزحف بمرور الوقت إلى ما يجاورها من أجزاء الجسم السليمة أو تبعث برهط منها عن طريق الدورة اللمفاوية إلى أجزاء أخرى من الجسم بعيدة عنها ، وتلك تنشىء مستعمرة لها فى هذا الجزء الذى حلت به ، وهكذا دواليك إلى أن يقضى المريض نحبه . وعلى ذلك فريض الجذام شخص حكم عليه بالموت البطىء ، لا بل هو شخص تعس حكم القدر عليه أن يرى جسمه يتساقط أجزاء ويأكله المكروب حيا كما تأكل الديدان رمة بالية . هذه صورة مصغرة لأعراض هذا المرض الوبيل ، فى بدئه ونهايته .

ولدراسة هذا المرض ومكافحته أجرى العلماء تجارب عدة على أنواع مختلفة من الحيوان ، فحقنوا الفيران والماعز والقرود بمكروب الجذام ، وفى كثير من الحالات ظهرت أعراض المرض عليها بعد ردح من الزمن . وقد وفق « آرننج » للحصول على إجازة من السلطات المختصة بجزيرة « هاواى » لعمل تجارب على قاتل يدعى « كينو » حكم عليه بالإعدام ، وقد خفف هذا الحكم إلى السجن المؤبد لكى يحقنه « آرننج » بمكروب المرض ، وبعد حقنه بعامين تقريبا ظهرت عليه أعراض الجذام المعروفة ، وابتدأ جسم هذا الرجل الذى كان يتدفق قوة وبطشا يتهدم شيئا فشيئا . وبعد سنتين أخريين كان « كينو » فى أثنائهما يكافح المرض بقوة جسمه ، قرر طبيب السجن إحالته إلى مستعمرة المجذومين « بمولكاى » بجزيرة « هاواى » حيث قضى المريض نحبه متأثرا من وطأة المرض .

**مدى انتشاره فى الأمم المختلفة :**

سبق أن ذكرنا أن الجذام بعد أن كافحته أوربا تضاءل وقل عدده حتى يمكن أن يقال إنه قارب الزوال من تلك القارة ، وإذا تبسطنا فى القول قلنا إنه تركز الآن فى النرويج وروسيا وإسبانيا والبرتغال والبلقان وجزيرة ايسلنده . ومهما يكن مجموع ما هو موجود منه اليوم فى أوربا بالنسبة لعدد سكانها فأنه لا يعد شيئا مذكورا فى عالم الوبائيات ، ولا سيما بعد أن تتاح لنا فيها بعد فرصة للمقارنة بينه وبين ماهو موجود فى بقاع أخرى من الكرة الأرضية . ويقدر الإخصائيون ما هو موجود الآن منه فى أوربا بنحو ٥٠٠٠ حالة ، وإذا علمنا أن عدد سكان الصين يعادل تقريبا عدد سكان القارة الأوربية اعترانا الدهش أو بالأحرى الذهول حينما يقال لنا إن بالصين ما يزيد عن مليون مجذوم ، وهذا يوضح لنا مرة أخرى مبلغ تأثير المدنية فى مكافحة المرض والقضاء عليه وكذلك استتبابه وتغلغله فى تلك الأقطار التى لا تزال تغط فى سبات عميق من التواكل والخمول . أليس من المزعج لا بل من المؤلم أيضا أن يكون المرض منتشرا فى الصين بنسبة تعادل ٢٠٠ ضعف قوة انتشاره فى أوربا ... !!؟

ويوجد فى الهنـد نحو ١٠٠٠ر٣٠٠ مجذوم وفى مصر نحو ١٠٠٠ر١٠ مصاب بهـذا المرض ، وأكثر بقاع الأرض إصابة به هى « كولومبيا » فى أمريكا الوسطى وجزيرة « مدغشقر » بالمحيط الهندى ، وهذه الجزيرة هى التى تحمل الرقم القياسى لهذا المرض . وليس أدل على ذلك من أن بتلك الجزيرة التى يزيد سكانها عن الليون نحو ٨٠٠٠ مريض بالجذام أو ما يعادل أضعاف قوة انتشاره فى الصين وعشرة أضعاف قوة انتشاره بمصر . ولا داعى لأن نقارنه بقلة انتشاره فى أوربا إذ ربما نصاب بدوار بالرأس أو ذهول .

## كيف كافحته أوربا حتى قضت عليه :

لا مشاحة فى أن الحضارة فى العصور المختلفة هى التى تـكيف حياة الفرد ؛ بل حياة الأمة ، والأمم التى تأخذ بأسبابها تطبعها بطابعها الخاص فتهديها إلى ما يجب عليها عمله فى أمر من الأمور أو فى مشكلة اجتماعية خاصة ، وتنهاها عما لا يتفق وروح تلك الحضارة . وقوة تفكير الفرد مستمدة من ينبوع حضارته . وهذا مرض الجذام خير دليل على ما للمدنية من قوة فعالة للقضاء على الخبيث من الأمراض ، وإسعاد الشعوب بإرشادها إلى ما يحميها مما يهدد كيانها أو ينغص عليها حياتها .

إن أول ما فعله الأوربيون فى القرون الوسطى حينما انتشر المرض بين ظهرانيهم ، ورأوا من ضحاياه الـكثيرين فى الشوارع والطرقات يسيرون هنا وهناك ، أن اشمأزوا من رؤيتهم ، وتأففوا من لمسهم وتجنبوا الاختلاط بهم أو التعامل معهم ، وهذا هو العزل الفطرى ، عزل السليقة والأيحاء ، وهو فى تاريخ الطب الحجر الأول فى نظام العزل الذى نعرفه اليوم « بالعزل أو الحجر الصحى » . أزعجتهم فى بادىء الأمر تلك التشويهات الخطيرة التى أحدثها المرض بأجسام ضحاياه ، وبالرغم من أن جوهره وأسبابه كانت مجهولة لهم تماما إذ لم يكونوا يعلمون من علم المـكروبات شيئا ، إلا أنهم رأوا بالرغم من ذلك كله ضرورة إسـكانهم فى بيوت خاصة بهم ومنعزلة عن الأصحاء من أبناء جلدتهم ، وقد اختيرت لهم فى أغلب الأحيان بيوت واقعة خارج المدن لضمان عدم اختلاطهم بباقى السكان .

ولمـا كان عدد المجذومين فى ذاك العهد كبيرا ، وإيواؤهم ثم إطعامهم لا تقوى الحـكومات على القيـام به منفردة ، انبرى أغنياؤهم إلى مد حكوماتهم بالإعانة والتبرع والإحسان ، وصرح للمجذومين فوق ذلك أن يجوبوا الطرقات للاستجداء ليساهموا هم أيضا إلى حد ما فى سد نفقاتهم ، إلا أنه فرض عليهم فى نفس الوقت أن يرتدوا لباسا خاصا ، ويضعوا فوق رءوسهم غطاء معينا ليراهم الجمهور من بعيد ويتميزهم . وإذا غفل عابر سبيل عن أن يرى مجذوما مقبلا عليه كان محتما على المجذوم أن يرفع رداء نصفيا يغطيه حتى الذراعين بضع مرات متوالية فى الهواء مؤديا حركة تشبه طائرا يرفرف بجناحيه حتى يسترعى نظر من هو مقبل عليه ليحذره ، ولا يصطدم به ، والويل ثم الويل للمجذوم إذا هو غفل عن ذلك فإنه كان يعاقب إذا ذاك عقابا صارما .

أصلى محمد باقى

في كتاب :

# «معالم تاريخ العصور الوسطى»

للسنة الثانية الثانوية طبعة سنة ١٩٤٥

## للأستاذ محمد الطنطاوي

كتاب قيم طوى شتيت المعاني في وجيز العبارات ، تلبية لداعي الوقت الدراسي الذي تتناهبه مختلفات العلوم . وجمل هذا الاختصار الأنيق الرعاية الدقيقة في رواية المعاني من حوادث وغيرها ، وكذلك ينبغي أن توضع كتب الوزارة ، فإنها المصادر الفريدة لمعلومات النشء العالقة بعقولهم ، الخالدة في صحائف أذهانهم يثلون اليها عندما يتسع أفق تفكيرهم كأساس يتمدون عليه في تنمية معارفهم .

طالعت قرابة نصف كتاب (المعالم) الأول ، فعنت لي ملاحظات فيما قرأت أبتغي بعرضها تلافيها في الطبعة المقبلة خدمة للعلم والتاريخ .

جاء في ص١٣ :(ولم يكن لبني هاشم منافسون سوى بني أمية وهم أحفاد عبد الدار أحد إخوة قصي )

والجملة الثانية تفيد أمرين : الأول أن بني أمية أحفاد عبد الدار ، والثاني أن عبد الدار أحد إخوة قصي .

وأقول إن كلا الأمرين لا ينطبق على الواقع . فإن كتب الأنساب تروي أن قصياً نسل عبد الدار وعبد مناف وغيرهما ، وأن عبد مناف نجل عبد شمس وهاشما وغيرهما ، وأن عبد شمس أعقب أمية وإخوته .

ومن ذا يتضح أن بني أمية حفدة عبد مناف كبني هاشم ، وأن عبد الدار أحد أبناء قصي . فصحة الجملة ( وهم أحفاد عبد مناف بن قصي ) والجملة حينئذ يستبين منها أن بينهما رحما ماسة وذلك هو الهدف الذي ترمى إليه .

وجاء في ص١٨ في الغزوات :( وقد اشترك النبي صلى الله عليه وسلم في تسع منها )

والظاهر من هذا الكلام أنه صلى الله عليه وسلم لم يشترك في باقي الغزوات .

وأقول إن المعروف أن الغزوة ما خرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم سواء أوقع فيها قتال أم لا ، وأن القتال كان في تسع منها فقط . فالنبي صلى الله عليه وسلم اشترك في الغزوات كلها ، وبالتالي قاتل مع المسلمين في التسع . فالصواب في الجملة ( وقد قاتل النبي صلى الله عليه وسلم في تسع منها ) كما في سيرة ابن هشام وغيرها

وجاء في ص ١٨ أيضا : ( ونالوا أول انتصار لهم في السنة الأولى بعد الهجرة في غزوة بدر ... وقد أحسن المسلمون معاملة الأسرى ) ...

تقتضى الجملة الأولى أن غزوة بدر الكبرى كانت في السنة الأولى بعد الهجرة .

وأقول إن كتب المغازي والسير اتفقت على أن تلك الغزاة وقعت في السنة الثانية . وبها اعتز المسلمون وأوهن كيد الكافرين .

وجاء في ص ١٨ و ١٩ : ( ولما نكث بنو قريظة عهدهم ... فقاتلوهم وقتلوا منهم خلقا كثيراً ... فأخذ النبي بعد هذا يقلب وجهه في السماء ... فأمر أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام )

يفيد القارئ لهذا الكلام من الجملتين الأخيرتين أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة بعد غزوة بني قريظة التي كانت في السنة الخامسة من الهجرة .

وأقول إن كتب المغازي والسير وأسباب النزول مطبقة على أن تحويل القبلة لم يتأخر حتى هذا الحين بل كان قبيل غزوة بدر الكبرى التي كانت في السنة الثانية بعد الهجرة .

وجاء في ص ٤٩ لمناسبة قتل الحسين رضي الله عنه : ( ومن علي زين العابدين بن الحسين تناسلت ذرية النبي صلى الله عليه وسلم )

إن هذه الجملة بوساطة تقديم المعمول تشعر بقصر التناسل من الذرية الشريفة على سيدنا علي زين العابدين .

وأقول إن التناسل قد استمر في ذريتي السبطين ( الحسن والحسين ) معا إلى عهدنا والأعلام منهما مشهورة فالصواب حذف الجملة أو تقديم الفعل .

وجاء في ص ٦٦ : ( منافسة العلويين لخلفاء بني العباس ... ومن ذلك دولة الأدارسة بالمغرب والدولة الفاطمية ... ودولة بني بويه وهي من غلاة الشيعة ) .

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٧٢٥ — فلما وردا على لم أعقل ما عملت

في (الأغاني) : اصطحب شيخ مع شباب في سفينة في الفرات ، ومعهم مغنية ، فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ معنا جارية لبعضنا وهي مغنية فأحببنا أن نسمع غناءها فهبناك ، فإن أذنت لنا فعلنا ، قال : أنا أصعد إلى ظلال السفينة فاصنعوا أنتم ما شئتم ، فصعد ، وأخذت الجارية عودها فغنت :

حتى إذا الصبح بدا ضوءه وغابت الجوزاء والمرزم (١)
أقبلت — والوطء خفي — كما ينساب من مكمنه الأرقم

فطرب الشيخ وصاح ، ثم رمى بنفسه بثيابه في الفرات وجعل يغوص ويطفو ويقول : (أنا الأرقم ، أنا الأرقم) فألقوا أنفسهم خلفه ، فبعد لأي ما استخرجوه ، فقالوا له : ما أصابك ؟ فقال : دب شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل ، ونزل في رأسي مثله فلما وردا على قلبي لم أعقل ما عملت .

## ٧٢٦ — وفي بيته مثل الغزال المربب

قال المبرد : اتهم سعد بن مصعب بن الزبير بامرأة في ليلة مناحة أو عرس ، وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير ، فقال الأحوص (وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار) :

ليس بسعد النار من تذكرونه ولكن سعد النار سعد بن مصعب (١)
ألم تر أن القوم ليلة جمعهم بغوه فألفوه لدى شر مركب
فما يبتغي بالشر لا در دره وفي بيته مثل الغزال المربب

## ٧٢٧ — ثم لم يرجع إليكم

قال الجاحظ : قال رجل من فقهاء المدينة : من عندنا خرج العلم . فقال ابن شبرمة : نعم ثم لم يرجع إليكم .

## ٧٢٨ — أصبت

في كتاب الأم للشافعي : أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال : أخبرنا عطاء . قال سمعت عبيدالله بن عمير يقول : اجتمعت جماعة فيما حول مكة ، فحانت الصلاة ، فتقدم رجل من آل أبي السائب أعجمي اللسان ، فأخره المسور بن مخرمة وقدم غيره . فبلغ عمر بن الخطاب ، فلم يعرفه بشيء حتى جاء المدينة ، فلما جاء المدينة عرّفه بذلك ، فقال المسور : أنظرني يا أمير المؤمنين ، إن الرجل كان أعجمي اللسان ، وكان في الحج فخشيتُ أن يسمع بعضُ الحجاج قراءته فيأخذ بعجمته . فقال : هنالك ذهبت بها ؟ فقلت : نعم . فقال : أصبت

(١) الجوزاء : برج في السماء سميت لأنها معترضة في جوز السماء (التاج) وفي اللسان : والجوزاء نجم ، وفي ثار الأزهار : الناس يجمعون على أن البروج اثنا عشر برجاً ، وتسميها كل أمة بلغتها ويتفقون في المعنى على معاني لغة العرب (المرزمان) نجمان من أنجوم المطر ، وقد يفرد . (اللسان) وفي الصحاح : مرزما الشعريين نجمان أحدهما في الشعري ، والآخر في الذراع .

(١) في البيت خرم وهو سقوط حركة من أول بيت الشعر .

أقول يحسن حذف (وهي) بعد بني بويه لتكون جملة مستقلة ليس فيها عطف دولة بني بويه على ما قبلها لئلا يوهم العطف أنها علوية نسبا كالأدارسة والفاطمية .

وجاء في ص ٨٢ عن والي مصر عبد العزيز بن مروان (ويظن أن أول الدنانير العربية ضربت في عهده)

أقول هذا الظن غير منسجم مع ما سلف في الكتاب نفسه من اليقين عن الخليفة عبد الملك بن مروان ، ففيه ص٥١ (وضرب نقوداً خاصة للعرب بعد أن كانوا يتعاملون بنقود الرومان والفرس فضرب في عهده الدينار وهو نصف جنيه بالتقريب) — وهذا ما ينبغي التعويل عليه من أقوال مذكورة في النقود الإسلامية للمقريزي و (الكامل) لابن الأثير ، ليس منها من أضاف الضرب إلى عبد العزيز . نعم ورد في النجوم الزاهرة أنه أشار على الخليفة بذلك لكن لا تصل الإشارة إلى حد النسبة إليه .

محمد الطنطاوي
المدرس في كلية اللغة العربية

### ٧٢٩ — وتأخذ الواحد من أمه

يا موت ، ما أجفاك من نازل !    تنزل بالمــرء على رغمه
تستلب العذراء من خدرها    وتأخذ الواحــد من أمه

### ٧٣٠ — فاقرأ عليهم سورة المائدة

دعى ابن حجاج إلى دعوة مع جماعة فتأخر عنهم الطعام ، فقال لصاحب الدعوة :

يا ذاهباً فى داره آيبــا    من غير ما معنى ولا فائده
قد جن أضيافك من جوعهم    فاقرأ عليهم سورة المـائده !

### ٧٣١ — لا كان دهر يولى على بنى الناس مثلك

قال أبو الفداء : غضب أرغون شاه على فرس له قيمة فضربه حتى سقط ، ثم قام فضربه حتى سقط ، وهكذا مرات حتى عجز عن القيام ، فبكى الحاضرون على هذا الفرس فقيل فيه :

عقرت طرفك حتى    أظهرت للناس عقلك
لا كان دهر يولى    على بنى الناس مثلك

### ٧٣٢ — كلام بكلام

مر رجل بآخر يأكل فسلم عليه فقال : هلم ، فهم الرجل أن يقعد معه ، فقال الآكل : رفقاً ، أما عرفت هذا ما هو ؟

فقال : ما هو ؟

قال : على أن أقول هلم ، وعليك أن تقول هنيأ حتى يكون كلاما بكلام . فقام الرجل .

فقال : قد أعفيتك من التسليم ومن تكليف الرد
فقال : قد أعفيت نفسى إذاً من هلم

### ٧٣٤ — وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

نظر شيخ من الأعراب إلى امرأته تتصنع وهى عجوز فقال :

عجوز ترجّى أن تكون فَتيّة    وقد لَحِب الجنبان واحدودب الظهر[1]

(١) لحب فلان إذا نحل ( الأساس ) لحب الجنان بالبناء لما لم يسم فاعله — قل لحمهما ، وقد لحب مثل عرق (المبرد) لحب اللحم عن العظم : قشره ( اللسان ) .



تدس إلى العطار سلعة بيتها    وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر[1]؟
وما غرنى إلاّ خضاب بكفها    وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
وجاؤوا بها قبل المحاق بليلة    فـكان محاقاً كله ذلك الشهر[2]

### ٧٣٣ — ونطقهم عندها بهمس

قال أبو مروان عامر بن غصن :

يا فتية خيرة فدتهم    من حادثات الزمان نفسى
شربهم الخمر فى بكور    ونطقهم عندها بهمس
أما ترون الشتاء يلقى    فى الأرض بسطامن الدمقس
مقطب عابس ينادى :    يوم سرور ويوم أنس

(١) سلعة بيتها : يريد السويق والدقيق وما أشبه ذلك ، وكل عرض فالعرب تقول له سلعة ( المبرد ) العرض — بفتح ثم سكون — غير النقد .

(٢) المحاق — مثلثة — هنا : آخر الشهر إذا أمحق الهلال فلم ير (اللسان) كله : للشهر .

# الرباط الأسود

## للأستاذ عبد الرحمن صدقي

قد غبرَ العامُ وما يحمدُ
وحلّ عامٌ مثلُه أربدُ

دنيايَ مِن بَعدكِ يا زوجتي
آنسُ منها قبرُكِ الموصَد

وكلُّ أيامِيَ مشئومةٌ
ولو طغى اللهوُ بها والدّدُ(١)

نِضْوُ أسىً، في عُنُقي ربْطةٌ
سوداء كابٍ لونُها أكمدُ(٢)

يرنو إليها صاحبي مُنكِراً
وقد تولّى العامُ أو أزيد

يسألني من رحمةٍ لحظُهُ
أما أنَى تخلعُها الموعدُ(٣)

يالَوْعَتا من خاطرٍ مزعجٍ
يهتاجُ أشجاني ويستوقد

يرُوع نفسي، وكأني بـه
يروع مَن تحت الثرى ترقد

كأنني أجحد عهدَ الهوى
وعهدُنا الوثوقُ لا يُجْحَد

يامهجتي قَرّي، ويا روحَها
قَرّي، فما انحلّ لنا مَعْقَد

لمّا نَزَلْ عِرْسَيْنِ نمشي معاً
تشابكتْ مِنّي ومنك اليد

أمري وتَسْرين على بَرْزَخٍ
يتّصل اليومُ به والغدُ

يربط روحَيْنا برغم الردى
هذا الرباطُ الثّاكلُ الأسود

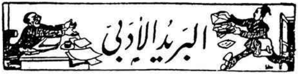
(١) الدد: اللعب.
(٢) النضو: المهزول.
(٣) أنى: مثل آن.

# أمل الفلاح

[ القصيدة الفائزة بالجائزة الأولى،
في مسابقة الشعر البريطانية هذا العام ]

## للأديب حسن جاد حسن

لله للفلاح في بؤسه  وصرخة الآمال في نفسه
يبخسه الدهر، وأوطانُه  عون مع الدهر على بخسه
وما سرى في أفقه كوكبٌ  إلا وغض الطرف من نحسه
مضني يقصّ الدهر عن كدحه  وتسمر الأيام في بأسه
على محيّاه سطور الضنى  قد خطّها المقدور في طرسه
مدوّن الصفحة يطوى بها  دفائنَ الأسرار عن تعسه
تحسّ ذل البؤس في صوته  وتدرك التبريح في جرسه
الفقر والجهل وأسقامه  معاولٌ تهدم في أُسّه
يبيتُ صفر اليد من عُدمه  والذهب الأبريز من غرسه
وقوتُه ما خلّفت أرضه  من حنظل الزرع، ومن يبسه
يعيش بين البهم في كونه  كأنه لم يك من إنسه
من أسكن الترفَ فردوسه  يسكن في المغمّ من رمسه
ومن كسا الوادي حرير المنى  مرقّع الأطمار من لبسه
فكم شواه القيظ في جمره  وكم طواه البرد في قرسه
جنديّه المجهول في كدحه  ورمزه الصادق في قُدسه
مَن كلما مسّ الثرى كفُّه  أحاله تبراً ندىً مسّه
عَيٌّ فصيح الشكو في عِيّه  يبثّه لله في همسه
قد خطّها شكوى على أرضه  ذاك اليراع الحرُّ من فأسه
هل للمنى الجرحى بأحشائه  هزة عطفٍ من بني جنسه؟
فكفكفوا المسفوح من غربه  وبدّدوا المربدّ من يأسه
طِبّوا لماضي الداء في جسمه  واشفوا عضال الجهل في نفسه
واسقوه عذب الماء، لا آسناً  يرنق «المكروب» من كأسه
وكافحوها فيه أميّةً  تنفث روح الشر من رجسه
تضاعفِ الصحة من عزمه  ويرهف التعليم من حسّه
لا تحرموه من جنى غرسه  واحموا الجنى النالَ من وكسه




## رأى معالى العشماوى باشا فى رواية تاج المرأة :

نشرنا فى العدد ٦٦٦ من « الرسالة » رأينا ورأى الأستاذ الزحلاوى فى رواية ( تاج المرأة ) التى نقلها إلى العربية الأستاذ كامل بك الهنساوى ، ويسرنا أن ننشر اليوم رأى صاحب المعالى وزير المعارف فى كتاب أرسله إلى المترجم الفاضل هذا نصه :

عزيزى الأستاذ كامل الهنساوى بك

تلقيت كتابك ، وإنى ليسرنى أن أعبر لك عن إعجابى برواية ( تاج المرأة ) التى ترجمتها للمسرح المصرى ومثلتها على مسرح الأوبرا «الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى» . ويعنينى بصفة خاصة أن أعبر لك — فوق إعجابى بالموضوع والتمثيل — عن إعجابى بلغة الترجمة التى أعدها لونا من الأدب الرفيع يهنأ عليه من استطاع أن يقدمه للمسرح المصرى العربى وأن يلفته إلى هذا الفن الرفيع .

ولقد كان قيام « الفرقة القومية » أول قيامها فى العهد الذى كانت تتبع فيه وزارة المعارف وكنت وكيلا لها — لكى تحقق هذه الناحية وتمنى بها دون نظر إلى الربح أو الخسارة أو توازن الميزانية . فالأمر أمر نشر ثقافة فنية عالية لا ينبغى النظر فيه إلى مقدار ما يكلف الدولة من نفقات . وقد قدمت الفرقة طائفة مختارة من هذا الأدب الراقى متأثرة بالفكرة التى أوحت بانشائها . ولعل من الخير أن تبق هـــذه الخطة تترسمها « الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى » .

وإنى أوافقك على ضرورة التقدم إلى زميلى وزير الشئون الاجتماعية بالسعى لتحتفظ الفرقة برسالتها الأولى فى خدمة المسرح المصرى العربى خدمة تقوم على أساس من الفن الرفيع والأدب العالى . وتفضل بقبول تحيات المخلص

محمد العشماوى

---

واستبدلوا من كوخه جنةً … من رافه العيش وفردوسه

هـــذى أمانيه ، نواعيرُه … أشجتْ بها الشادوفَ فى مَيْسه

يلهو الحمى الناعم فى خيرها … عن مأتم الفلاح فى عُرسه

خلُّوه والسلم رفيف المنى … يستقبل الآمال من شمسه

إن تُسعــدوه اليوم فى ظله … ينس مرير العيش من أمسه

أو تُنهضوه تنهضوا بالحمى … وترفعوا المخفوض من رأسه

حسن جاد حسن

بقلم الأستاذية بكلية اللغة العربية

## نوادر المخطوطات العربية فى المكتبة التيمورية :

فى المكتبة التيمورية التى ضمت إلى دار الكتب المصرية من عشر سنوات حوالى عشرين ألف مجلد من أقيم المؤلفات بينها بضع مئات من الكتب المخطوطة النادرة فى مختلف علوم اللغة والدين والفقه والأدب وسواها ، ولمناسبة ظروف الحرب نقلت هذه الكتب كلها من المكتبة العامة إلى المنارات فى المادى لحفظها فيها ، وقد بدئ أخيراً باعادتها جميعاً إلى موضعها فى دار الكتب .

وقد تقرر تكليف القسم الأدبى بالدار بمراجعة المخطوطات النادرة فى المكتبة التيمورية لاختيار ماينبغى نشره وطبعه منها ، وبين هذه المؤلفات الخطية نحو ٥٠٠ بأيدى بعض جلة العلماء لتكون خاصة بمكتباتهم ، و٣٠٠ بأيدى المؤلفين أنفسهم ، و٤٠٠ ليست مؤرخة ، و٣٠٠ بها تواريخ كتابتها وهى منذ القرن الهجرى السادس وما بعده .



وقد ندب للقيام بهذا العمل الأستاذ أحمد لطفى السيد ، والأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى من محررى القسم الأدبى .

### ١ — نص ثالث

كنت قد أشرت فى جوابى للأديب الذى عقب على مقالتى ( من غزل الفقهاء ) بشأن بيتى عروة بن أذينة ، إلى نصين معتبرين : نص الأغانى للاصبهانى ( الجزء ٢١ ) ونص البكرى فى شرح الأمالى لأبى على القالى ( ١ : ١٣٧ ) ، على أن البيتين لعروة لا لعمر بن أبى ربيعة وإن ذكرا فى ديوانه الذى جمع فى عصر متأخر ، وأخذها من هناك ( فيما يظهر ) الأستاذ العقاد . وقد أرانى اليوم الطالب النابغة السيد عصام العطار من طلاب المعهد العربى فى دمشق نصاً ثالثاً أورده شاكراً له مثنياً عليه .

جاء فى الجزء الأول من زهر الآداب للحصرى (ص ١٥١) :

« وكان عروة بن أذينة على زهده وورعه ، وكثرة علمه وفهمه ، رقيق الغزل كثيره ( إلى أن قال ) ومرت به سكينة

## الكتب

# طفـــــل من القرية

### تأليف الأستاذ سيد قطب

### للأستاذ وديع فلسطين

وهذا صوت آخر من القرية يردده الأستاذ القدير سيد قطب فيدعو فى أسلوبه التهكمى الخاص إلى تدارك الريف المصرى بعناية أولى الأمر ، لأن الجهالة لا تزال تخيم على عقول قُطّانه ، والفقر ما فتئ يحرمهم قوتهم ، والداء ما برح ينهش أبدانهم فى غير رحمة ولا إشفاق ، والخرافات تتناقلها الألسن والأجيال فتصير لها صفة الحقيقة الماثلة الثابتة .

هى ذكريات وعاها الأستاذ سيد منذ كان صبياً يعيش فى القرية ويتعلم فيها ويخضع لقوانين الفطرة التى لم تكن المدنية قد تغلغلت إليها بعد . ذكريات شاء أن يدونها فى كتابه الجديد « طفل من القرية » يبسط فيه أحوال طلاب الكتاتيب والمدارس الأولية ومدرسيهم وأهليهم وبيوتهم وعاداتهم ووسائل تربيتهم وتطبيبهم .

فهو يحدثك عن الأولياء والمشايخ الذين يقدسهم الريفيون وينسبون إليهم أداء أعمال يعجز عنها الطب ويحار فيها نُطس الطبيين . فإذا مرض طفل أمكن شفاؤه بحمله على الرقاد ليلة إلى جانب رجل مجذوب مخلول العقل ! وإذا عالج « تمورجى » عليلا وشفاه ، جعلوا منه طبيباً نابه الذكر يؤخذ برأيه وإن كان خطلا ، وتنفذ مشورته وإن كان فيها القضاء العاجل على السقيم ! وإذا باع رجلا جانباً من أرضه ليوسع على نفسه قليلا فى معيشته ويرد عنه الضائقات ، حزنت زوجه وانتحبت وبكت بئس المصير ! وإذا هجر ابن القرية إلى المدينة طلباً فى المزيد من العلم ، وما

---

بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقالت له : أنت الذى تزعم أنك غير عاشق ، وأنت تقول :

قالت وأبثثتها سرّى ( الخ ) البيتين .

والله ما خرج هذا من قلب سليم قط » .

ولو تتبعت المصادر لوجدت نصوصاً أخرى كثيرة ، ولكن المسألة أهون من أن يبذل فيها هذا الجهد .

### ٢ — جواب

على ما نشر فى بريد « الرسالة » ( ٦٦٦ ) :

جوّز أبو حنيفة وحده ولاية المرأة القضاء فى المدنيات دون الجنائيات ومنعها سائر الفقهاء ، ولم يعرف التاريخ امرأة واحدة وليت القضاء .

أو ما كفى المرأة أن تكون ( نائبة ) الرجل ووكيلته فى الدار ، حتى تكون ( نائبة ) الأمة فى البرلمان و ( نائبة ) العدل فى المحكمة ؟

إنه ما بعد هذه ( النائبات ) إلا أن تكون هى ( القاضية ) !

**على الطنطاوى**

القاضى

### جامعة أدباء العروبة :

اجتمع مجلس إدارة جامعة أدباء العروبة فى دار الدكتور محمد وصفى نائب رئيس الجامعة طائفة من رجال البيان والأدب وتدارسوا فيما بينهم وسائل النهوض بالأدب ليؤدى رسالته كاملة فى تحقيق الوحدة العربية والحرية والكرامة لشعوبها . وتكلم حضرات الأساتذة صاحب المعالى دسوقى أباظة باشا ، والدكتور وصفى ، والدكتور اسماعيل حسين ، وطه عبد الباقى سرور ، وعبد العزيز الاسلامبولى ، ومحمد عبد المنعم إبراهيم المحامى ، ومحمد عبد الوارث الصوفى ، وعبد الله شمس الدين ، وخالد الجرنوسى ، وعبد الحميد الاسلامبولى ، ومحمد مصطفى حمام . ثم قرر الحاضرون إقامة مهرجان لأدب الربيع فى النصف الأول من شهر مايو المقبل ، وترجو الجامعة من حضرات الشعراء والأدباء الذين يريدون المساهمة فى هذا المهرجان الاتصال بالسكرتارية ١٩٦ شارع محمد على تليفون ٤٧٣٥٠ .

### إلى قراء الرسالة فى سورية ولبنان :

نرجو أن تطلبوا من شركة فرج الله ماينقصكم من أعداد الرسالة ولاسيما الأعداد التى تأخرت عنكم أثناء الإضراب فى فلسطين .

يستتبع ذلك من جاه مؤثت ومستقبل مضمون ، ودعته عائلته بالزفرات الحارة ، وسكبت على فراقه العبرات مدرارة ! وإذا أمَّت القرية بعثة طبية تتقصى حالات البلهارسيا والانكلستوما وديدان الاسكارس ومدى تفشيها في القرية ، كان الإهمال ديدنها وأداء المهمة بُغيتها ، ولا جرم إذا كانت جميع المعلومات التي حصّلتها في بحوثها غير دقيقة ! وإذا لعبت الجرذان ليلا في كومة تبن على جانب طريق ، شاع أن الجن والعفاريت يقطنون هذا المنعرَج ، وأن السير فيه خطر لا تؤمن مغبته ! وإذا اقتنى رجل كتاباً في السحر وفك العقد ، سعت إليه النسوة متخفيات ، واستعرنه ليقرأنه في خلوة بمنأى عن الأنظار !

هذا بعض ما عكف الأستاذ قطب على الإسهاب في وصفه وتصويره في كتاب « طفل من القرية » في سلاسة وبساطة مصحوبتين بتهكم وازدراء . وهو لا يكتم ألماً ممضاً دفيناً بين جوانحه على تلك الحالة الفاشية في القرى المصرية ، ولا يخفى رغبة مشبعة بالأمل في إصلاح تلك الأحوال المؤسية المؤسفة .

ولئن كانت بعض المدارس الأدبية الحديثة تبشر بدعوة جديدة قوامها أن يسخّر الأدباء أقلامهم — ولو قليلا — في خدمة المجتمع والدفاع عن قضاياه ، فإن كتاب الأستاذ سيد قطب يعد مساهمة طيبة منه في هذه الحركة المباركة وتأييداً لهذا الاتجاه المحمود .

# الزواج والمـــــرأة

للأستاذ أحمد حسين

لفضيلة الأستاذ محمود أبو العيون

أهدى إلى الكاتب الألمعي الأستاذ أحمد حسين كتابه « الزواج والمرأة » ولقد قرأته بإمعان وتأمل فرأيته قد عرض لمسألة المرأة من نواح كثيرة كانت موضع جدل ونقاش عنيف بين كتاب الاجتماع في العصر الحديث — عرض لنظرية الداعين إلى محاربة الغريزة الجنسية وتعطيل عملها في الحياة ولنظرية الدعوة إلى الإباحة الجنسية إطلاقا وخطرها على الأمن والسلام ... وعرض بإسهاب للدولة والأسرة ، وأن الأسرة أوفق للمجتمع الصحيح ولنظرية التسوية بين الرجل والمرأة في الوظيفة ، ولمسألة الزواج والأمومة ، هل فيهما غض من شأن المرأة ، ثم عرض المرأة وحقوقها في الإسلام ، وللبحث في السفور والحجاب وللشروط اللازمة لنجاح الحياة الزوجية

وفي الحق إن عرض الأستاذ لتلك النظريات والبحوث كان عرضاً شيقاً بديعاً وفي أسلوب رائع حكيم وأدب رفيع ومنطق سليم ؛ ومما بهرني وأخذ في نفسي ما أثبته بالأدلة من الكتاب والسنة من حقوق المرأة في الإسلام مما لم يتوفر مثله للمرأة الغربية التي تحررت من القيود والأوضاع .

بقي أنه عرض في ختام كتابه لمسألة تعدد الزوجات والطلاق في الإسلام ، ووددت لو كان قلم الأستاذ قد بلغ نهاية الشوط مجلياً ، ولكنه للأسف حاول ربط آيتي العدل في النكاح : « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، ليصل من ذلك إلى ما قصد إليه ، وهو وجوب الاكتفاء بزوجة واحدة ، وأن القرآن ذهب في رأيه إلى حد كاد يلغي معه هذا الحق « تعدد الزوجات » أصلا ، ولكن الربط الذي فهمه وقرره غير صحيح ، فإن معنى العدل في الآية الأولى كما فسره فقهاء المذاهب جميعاً العدل في النفقة وفي المبيت ، والعدل في الآية الثانية قصد به العدل المطلق ، وهو يشمل المحبة والميل ، وهذا ليس في استطاعة الإنسان مما لا يصح التكليف به ، ولهذا أتبع الله ذلك بقوله : « فلا تميلوا كل الميل » ، فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه : « اللهم إني قد عدلت فيما أملك فاغفر لي فيما تملك وما لا أملك » ، أي العدل في المحبة ، وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام كان يحب بعض نسائه أكثر من البعض الآخر ، وقد مرض مرة فكان يحمل من بيت إلى بيت استيفاء للعدل في المبيت بين أزواجه ، فاستأذن نساءه في أن يتمرض في بيت عائشة فأذن له .

فالعدل في الآيتين ليس واحداً ، والتوفيق بينهما ما قلناه ، كما هو ظاهر واضح ، وللأستاذ المعظم رأى في تعدد الزوجات غلا فيه عن أكثر القائلين بتقييده . فهو يرى منع التعدد إطلاقا ولأي سبب من الأسباب ، وغيره يرى منع التعدد لعاجز عن الإنفاق على أكثر من واحدة فحسب .

# محمد عبده

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

شيخ الأزهر الحالى شخصية لها جهادها الحافل فى خدمة الفلسفة ، والأدب ، والتاريخ ، والدين . ولها تأثيرها القوى فى هذا الإزدهار العلمى التوثب ، وفى تقديمه اليوم لشخصية — محمد عبده — من معانى الوفاء ، والتقدير ما يعد مأثرة من مآثره العديدة فى ميدان الوفاء ، ومن أولى بالإحتفاء بأنجب أبناء الأزهر من الأزهر ، وشيخ الأزهر ، وهو المكان الذى غذاه ـ الإمام ـ بعلمه ، وتعهده بجهاده ؛ حتى صار متجه فكره ، وهدف إصلاحه ومسرح نشاطه …

لقد أقدم شيخ الأزهر على دراسة شخصية الإمام دراسة علمية ترتكز على إبراز تلك العوامل المختلفة التى لها أثرها الفعال القوى فى تكوين شخصيته ، وصقل رأيه وقوة منطقه ، وتزويده بتلك الخصائص التى كان لها فى مجرى سياسة أمته ، وعقليتها ، ودينها أقوى المؤثرات ، وشخصية الإمام لها أكثر من جانب ، فعلى من يأخذ فى تصويرها أن يسرح طرفه فى كل تلك النواحى ويعمل عقله حتى يتهدى له الإلمام بها ؛ فكان لها مجالها فى الثورة العرابية ، ولها رأيها فى البادىء الوطنية ، ومذاهب الإصلاح ، وفى ميدان التدريس والصحافة . وهذا النضج العلمى الذى يطالعك فى كل ما يتناوله ، وصلته بالأفغانى ، وكفاحه فى الأزهر ونشأته ، كل هذا يتطلب من يجلوه ، ويكشف عنه بدراسة الأسباب التى انتهت إلى المسببات ، أو المقدمات التى أنتجت هذه النتائج ، وليس هذا بالمركب الذلول ؛ بل هو مزلة الأقدام ومضلة الأفهام ، فتحليل الظواهر الفكرية والخلقية ، والرجوع بها إلى مصادرها الأولى ؛ دونه كل مشقة وعسر . ولقد وفق الأستاذ الأكبر فى إعطائنا تلك الصورة على تعدد جوانبها ، واختلاف نواحيها ، على أتم ما تكون جلاء ، وأوفى ما تكون دقة ودراسة وتمحيصا ، فعرفنا الإمام فى نشأته ودراسته ، وفى الأزهر ، ومع الأفغانى ، ودعوته إلى الإصلاح ، والتقينا به فى ميدان التدريس والصحافة ، وتبينا مبادئه الوطنية ، ومنهجه فى الإصلاح ، وموقفه من الثورة العرابية .

---

ورأينا فى تعدد الزوجات معروف وهو الإباحة المطلقة وفى تقييده شر مستطير … بعض هذا الشر يمس الأخلاق والآداب وبعضه يمس ناحية الاجتماع ، والكلام فى ذلك كثير لا تحتمله هذه العجالة العابرة .

أما الطلاق فله فيه رأى ، وهو اشتراطه أن يقع فى ساحة القضاء … فهو بهذا الشرط قيد حقاً ثابتاً منحه الشارع الحكيم للانسان وأعطاه الحرية الكاملة أن يطلق حينما يشاء — واستحب أن يتقدم ذلك بعث حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة « إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » ولكن الأستاذ على أى حال كان أيسر من غيره ممن رأى تقييد الطلاق بقيود لم تكن مشروعة فى كتاب الله ولا سنة رسوله فهم يدينون من طلق بغير إذن القاضى ويرون تعزيره وحبسه بل والحكم عليه بالتعويض لمطلقته .

ولقد كتبنا فى هذا الموضوع ووفيناه حقه وأدرك جمهور المسلمين ماينجم عن تعدد الزوجات وعن تقييد الطلاق من الشرور مما يهدد نظام المجتمع ويفسد قدسية الأخلاق .

وبعد فاننا نثنى الثناء الجم على الأستاذ الجليل أحمد حسين لجهوده المشكورة التى بذلها فى هذه البحوث القيمة ونظراته السليمة ، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يكثر من أمثاله العاملين المجاهدين .

---